العتبة العباسية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
شعبة الإعلام

ولاية العهد

للإمام الرضا عليه السلام

تأليف

الشيخ عبد الرزاق فرج الله الأسدي

دراسة وتحليل

وحدة الدراسات والنشرات

العتبة العباسية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
شعبة الإعلام
وحدة الدراسات والنشرات

كربلاء المقدسة

ص.ب (٢٣٣)

هاتف:٣٢٢٦٠٠، داخلي: ١٧٥-١٦٣

www.alkafeel.net
info@alkafeel.net

الكتاب: ولاية العهد للإمام الرضا عليه السلام.

الكاتب: الشيخ عبد الرزاق فرج الله.

الناشر: قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة العباسية المقدسة / شعبة الاعلام.

التصميم والاخراج الطباعي: علاء سعيد الاسدي.

التدقيق اللغوي: لؤي عبد الرزاق الاسدي.

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق: ٩٥٢ لعام ٢٠١٢.

المطبعة: دار الضياء - النجف الاشرف٠٧٨٠١٠٠٠٦٠٣.

الطبعة: الثالثة.

عدد النسخ: ٢٠٠٠

رمضان ١٤٣٣ - آب ٢٠١٢

الإهداء

سيدي أيها الإمام الغريب البعيد علي بن موسى الرضا عليه السلام...

يا من هو من نفس محمد قطعة، ومن روح علي أخرى...

يا من هو من كبد فاطمة جزءٌ ومن قلبها...

يا من ورث علم النبوة وجوهر الإمامة...

يا من جراحات قلبه تهز النفوس وتعتصر القلوب...

يا من آهاته بحرٌ يشرب منه شيعته فداءاً وتضحيةً وصبراً...

إليك سيدي أرفع بالدموع جهدي المتواضع هذا...

راجياً يوم الحشر نيل شفاعتك.

المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلوات وأتم التسليم على خير خلقه وسيد رسله محمد وعلى آله الطاهرين وصحبه المنتجبين.

وبعد: فإن لأي موقف من مواقف ائمة اهل البيت عليهم السلام مدلولاً تربوياً، ومردوداً إيجابياً على الرسالة التي آمنوا بها، وعملوا من أجلها، سواء كان هذا الموقف عبادياً، أو أخلاقياً، أو سياسياً، أو عسكرياً أو غيرها من الأطر والميادين التي للإسلام والشريعة تدخل فيها، وذلك لأنهم الأمناء الملهمون صوابهم، والمقتفون أثر جدهم النبي الأعظم محمد صلى الله عليه وآله الذي قال فيهم: «**إن مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق**»(١).

ففي أقوالهم وأفعالهم التي ترتبط بمصير الأمة ورسالتها، تتجسد المصلحة والنجاة، والا فأي معنىً غير هذا في تشبيههم بسفينة نوح؟ وأي معنى للنجاة بهم لولا أن أقوالهم وأفعالهم ومواقفهم تتطابق مع مصالح الأمة والرسالة؟

ويطالعنا في هذا البحث الوجيز، موقف تأريخي للإمام أبي الحسن عليّ بن موسى

(١) المستدرك على الصحيحين ٣ / ٣٤٣، وكنز العمال ٦ / ٢١٦، وحلية الأولياء ٤ / ٤٠٦ عن ابن عباس.

الرضا عليه السلام مع خليفة زمانه المأمون العباسي، وهو موقفه من العرض السياسي الذي عرضه عليه المأمون بشأن (ولاية العهد).

هذا الموقف يستحق التأمل والتروي، للخروج من العروض السطحية المجردة من النظر الى ما وراء الحدث التأريخي، وذلك لأن التأريخ تارة يؤخذ على مستوى عرض النص التأريخي، وتارة يؤخذ على مستوى عرض المواقف التأريخية، وقطعاً أن للمواقف التأريخية أغراضها ومراميها وغاياتها، خصوصاً على مستوى التأريخ السياسي.

ولعل هناك من سبقنا الى الدراسة والتحليل بصورة أوسع وأشمل لتأريخ ومواقف أئمة أهل البيت عليهم السلام وخصوصاً على مستوى الأحداث والمواقف اللامعة في حياتهم، ومنها ما وقع في حياة الإمام الرضا عليه السلام في شأن ولاية العهد، وموقفه منها، الذي يعطينا حقيقة موحدة في حياة أئمة أهل البيت عليهم السلام وهي: أن طريقهم الى الله عزّ وجل واحد وإن تعددت المواقف وتنوعت الأساليب.

ومن هنا وقع الإختيار على هذا الحدث في حياة الإمام الرضا عليه السلام لدراسته من الزاوية التحليلية لا من زاوية النص التأريخي فقط... لأن التأريخ مصدر من مصادر الإلهام، من خلال مضامينه ودلالاته التربوية لا من خلال كونه مجرد تأريخ قصصي لترويح النفس.

نسأل الله تعالى أن يلهمنا صواب التأريخ وهداه

إنه نعم المولى ونعم النصير.

المؤلف

الإمام الرضا عليه السلام ولادةً ونشأةً

في أي حقبة من حقب التأريخ الماضي بعد النبوة، كان يطل على الوجود قبس من أقباس الإمامة، ليضفي عليه بركة وقدساً، هو أحوج ما يكون إليه، لأنه وجود قدس الإمامة في الأئمة الإثني عشر عليهم السلام أمان لهذا الوجود سواء كان الإمام شاهداً أو غائباً.

عن الفضل بن الصقر، عن أبي معاوية، عن الأعمش، عن الصادق عليه السلام عن أبيه، عن علي بن الحسين عليه السلام قال:-«**نحن أئمة المسلمين وحجج الله على العالمين وسادة المؤمنين وقادة الغر المحجلين وموالي المؤمنين، ونحن أمان أهل الارض، كما ان النجوم أمان لاهل السماء، ونحن الذين بنا يمسك الله الارض ان تميد بأهلها، وبنا ينزل الغيث، وبنا ينشر الرحمة ويخرج بركات الأرض، ولو لا ما في الأرض منا لساخت بأهلها**».[1]

ولادة أي إمام من هؤلاء الأئمة عليهم السلام لا كالولادات، كما أن حمله لا كأي حمل ولا غرابة في ذلك، لأنهم أنوار في الأصلاب الشامخة والأرحام المطهرة، يتلألأ بهم الوجود، وتزدهر بهم السماء والارض.

وقد ورد في شأن ولادة الإمام الثامن عليه السلام كما عن أحمد بن علي الأنصاري عن علي بن ميثم، عن أبيه، قال: سمعت أمي تقول: سمعت نجمة أم الرضا عليها السلام تقول: لما حملت يابني علي لم أشعر بثقل الحمل وكنت أسمع في منامي تسبيحاً وتهليلاً وتمجيداً من بطني فيفزعني ذلك ويهولني، فإذا انتبهت لم اسمع شيئاً، فلمّا وضعته وقع على الأرض واضعاً يديه على الأرض، رافعاً رأسه الى السماء، يحرك شفتيه كأنه يتكلم، فدخل اليّ ابوه موسى

(١) بحار الأنوار: ٢٣ / ٥ -٦.

بن جعفر عليه السلام فقال لي: «**هنيئاً لك يانجمة كرامة من ربك**»، فناولته إياه في خرقة بيضاء، فأذن في أذنه اليمنى، وأقام في اليسرى ودعا بماءٍ فحنكه به ثم رده إلي فقال: «**خذيه فإنه بقية الله في أرضه**»[1].

وكانت ولادته بالمدينة سنة ١٤٨هـ بعد وفاة جده الإمام الصادق عليه السلام بخمس سنين، وقبض عليه السلام في صفر سنة ٢٠٣هـ، وهو ابن خمس وخمسين سنة، في قرية يقال لها (سناباد) من رستاق نوقان، ودفن في دار حميد بن قحطبة الطائي في القبة التي فيها قبر هارون الرشيد مما يلي القبلة.. وقيل: كانت وفاته لتسع بقين من شهر رمضان، وليس على هذا القول معول.

(١) عيون أخبار الرضا: ١/ ١٧.

الإمام الرضا عليه السلام إمامةً وهيبةً وموقفاً

الإمامة هو ثوب الجلال المقدس الذي يُلبسُه الله عزّ وجل للمصطفين من الخلق على الخلق، وهي الحقيقة التي تتوج هذا الوجود بالهدى والعدل بعد النبوة، وهي شعلة القبس السماوي الذي يتبلج تبلج الصبح، ويتقد إتقاد الشمس، فيعلو على لحظ العيون ويتسامى في شخصية الإمام قولاً، وسمةً وهيبةً، وموقفاً في مرحلة من مراحل تأريخها.

تلك – إذن – أبعاد ثلاثة، تتجلى من خلالها الإمامة حقيقة لا يكاد يرمقها البصر حتى ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير، فلا يحملها ولا يستوعب حقيقتها إلا من فتح الله تعالى مسامع قلبه وعقله، وقد جلّى لنا الإمام الرضا عليه السلام مفهوم الإمامة، على مستوى هذه الأبعاد الثلاثة، فأكد أن الإمامة أنبل وأسمى من الهيمنة الظاهرية على الواقع الإجتماعي، من خلال قوله وبيانه لحقيقة الإمامة، ومن خلال سمته وهيبته، إلى موقفه في مرحلة التأريخ التي عاشها عليه السلام مع خليفة زمانه.

بيان الإمام الرضا عليه السلام في الإمامة

قال عليه السلام: «إن الإمامة هي منزلة الأنبياء، وإرث الأوصياء، وخلافة الله، وخلافة الرسول، ومقام أمير المؤمنين، وميراث الحسن والحسين، إن الإمام زمام الدين، ونظام المسلمين، وصلاح الدنيا، وعزّ المؤمنين، إن الإمامة أس الإسلام النامي، وفرعه السامي، بالإمامة تمام الصلاة والصيام والحج والجهاد، وتوفير الفيء والصدقات، وإمضاء الحدود والأحكام، ومنع الثغور والأطراف، والإمام يحل حلال الله، ويحرم حرام الله، ويقيم حدود الله، ويذب عن دين الله ويدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، والحجة البالغة، الإمام كالشمس الطالعة، المجللة بنورها العالم، وهي في الأفق بحيث لا تنالها الأيدي والأبصار، الإمام البدر المنير، والسراج الظاهر، والنور الساطع، والنجم الهادي في غياهب الدجى، وأجواز البلدان القفار، ولجج البحار، الإمام الماء العذب على الظمأ، والدال على الهدى، والمنجي من الردى، الإمام المطهر من الذنوب والمبرأ من العيوب، المخصوص بالعلم، الموسوم بالحلم، نظام الدين وعزّ المسلمين وغيظ المنافقين، بوار الكافرين، الإمام واحد دهره، لا يدانيه أحد، ولا يعادله عالم، ولا يوجد منه بدل، ولا له مثل ولا نظير، مخصوص بالفضل كله، من المفضِل الوهاب، فمن ذا الذي يبلغ معرفة الإمام أو يمكنه إختياره، هيهات هيهات ضلت العقول، وتاهت الحلوم، وحارت الألباب، وكلّت الشعراء وعجزت الأدباء، وعييت البلغاء عن وصف شأن من شأنه، أو فضيلة من فضائله، وأقرت بالعجز والتقصير، وكيف يوصف بكلّه، أو ينعت بكنهه، أو يفهم شيء من أمره، أو يوجد من يقوم مقامه ويغني غناه، وهو بحيث النجم عن يد

المتناولين، ووصف الواصفين، ولقد راموا صعباً وقالوا إفكاً، إذ تركوا أهل بيته عن بصيرة، والقرآن يناديهم: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾[1].

(١) عيون أخبار الرضا: ١ / ١٧٢ – ١٧٣.

الإمام الرضا عليه السلام في هيبة الإمامة

كان هذا وصفاً بيانياً للإمامة على لسان الإمام الرضا عليه السلام، أما الإمامة في شخص الإمام، فهي وجود بهيّ، وهيبة يبلغ القلوب جلالها، ويغمر العقول كمالها، ويمتلك المشاعر جمالها، فحيثما يحل شخص الإمام الموهوب، تذوب لهيبته الدنيا خشوعاً، وتنحني لمقامه عروشها مستكينة مذعنة متجردة من خيلائها، وكأن هناك صوتاً يهدر في أعماق كل كائن، وفي ضمير كل عاقل: يا أيتها الدنيا إذعني طائعة مطأطئة بزبرجك وخيلائك وعروشك لهيبة من إصطفاه الله تعالى للخلود.

ولقد كان الإمام الرضا عليه السلام مصداقاً لهذه الصورة البهية، في سمت الخلقة، وبهاء الطلعة، ملاكاً يمتزج فيه قدس الإمامة مع شملة الوقار والهيبة.

(عن الصولي، قال سمعت أبا العباس محمد بن يزيد المبرّد يقول: خرج أبو نؤاس ذات يوم من داره، فبصر براكب قد حاذاه، فسأل عنه ولم ير وجهه، فقيل: إنه عليّ بن موسى الرضا عليه السلام فأنشأ يقول:

إذا أبصرتك العين من بعد غاية ... وعارض فيه الشك أثبتك القلبُ

ولـو أن قـومـاً أمـوك لقادهم ... نسيمك حتى يستدل بك الركبُ[1]

ونظر أبو نؤاس إلى أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام ذات يوم وقد خرج من عند المأمون على بغلة له، فدنا منه أبو نؤاس وسلّم عليه، وقال: يابن رسول الله، قد قلت فيك أبياتاً فأحب أن تسمعها مني، قال: هات، فأنشأ يقول:

(١) بحار الأنوار: ٤٩ / ٢٢٦.

مطهرون نقيات ثيابهم تجري الصلاة عليهم أينما ذكروا
من لم يكن علوياً حين تنسبه فما له من قديم الدهر مفتخرُ
فالله لما بدا خلقاً فأتقنه صفاكم واصطفاكم أيها البشرُ
وأنتم الملأ الأعلى وعندكم علم الكتاب وما جاءت به السورُ

فقال الرضا عليه السلام: «**قد جئتنا بأبيات ما سبقك إليها أحد**»، ثم قال: «**يا غلام هل معك من نفقتنا شيء**»؟ فقال: ثلاثمائة دينار، فقال: «أعطها إياه»، ثم قال: «**لعله استقلها، يا غلام سق إليه البغلة**»[1].

ودخل عبد الله بن مطرف بن ماهان على المأمون يوماً، وعنده عليّ بن موسى الرضا عليه السلام، فقال المأمون: ما تقول في أهل البيت؟ فقال: عبد الله: ما قولي في طينة عجنت بماء الرسالة وغرست بماء الوحي، هل ينفح منها إلا مسك الهدى وعنبر التقى؟ قال: فدعا المأمون بحقة فيها لؤلؤ فحشا فاه[2].

ويحضرني شاهد ينقلني قليلاً من الإمام الرضا عليه السلام إلى حفيده الإمام عليّ الهادي عليه السلام، ولكننا لا نبتعد عن دائرة ما يؤيد ما لأهل البيت عليهم السلام من عمق المكان وجلال المنزلة في هذا الوجود، من خلال ألق الإمامة الذي أضفاه الله عزّ وجل عليهم، فجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم، وتنجذب مشدودة إلى بهاء طلعتهم بمشاعر التقدير والإحترام، حيث ورد:

في أعلام الورى بسنده عن محمد بن الحسن الأشتر العلوي، قال: كنت مع أبي على باب المتوكل وأنا صبي، في جمع من الناس، ما بين طالبي وعباسي وجعفري، ونحن وقوف إذ جاء أبو الحسن عليه السلام فترجل الناس كلهم حتى دخل، فقال بعضهم لبعض: لمن

(١) نفس المصدر السابق.
(٢) بحار الأنوار ٤٩ / ٢٣٧.

نترجل؟ لهذا الغلام؟ وما هو بأشرفنا ولا بأكبرنا سناً، والله لا ترجلنا له.

فقال أبو هاشم الجعفري: والله لتترجلن له صغرة إذا رأيتموه، فما هو إلا أن أقبل وبصروا به، حتى ترجل له الناس كلهم، فقال لهم أبو هاشم: أليس زعمتم أنكم لا تترجلون له؟ فقالوا: والله ما ملكنا أنفسنا حتى ترجلنا له[1].

(١) إرشاد الحيدري: ٢ / ٢٨٦ عن أعلام الورى.

الإمام الرضا عليه السلام وموقف الإمامة

للإمامة في أي مرحلة من مراحل تأريخها، موقف يبرز لنا عمق ودقة التعامل الموضوعي لأهل البيت عليهم السلام مع الأحداث التي تواجههم من محيطهم الذي تحتدم فيه النزاعات السياسية التي لا بد أن تكون لها آثارها ونتائجها على مسيرتهم الرسالية، وخطهم الشرعي في تبليغ الإسلام إلى الأمة.

وفي الثاني من شهر رمضان المبارك سنة ٢٠١هـ يلوح لنا حدث من الأحداث اللامعة في حياة أئمة أهل البيت عليهم السلام، وإن كانت حياتهم كلها لامعة سواء فيما يسر أو فيما يسوء.

وهذا الحدث هو تولي الإمام الرضا عليه السلام لولاية العهد في آخر سني عمره الشريف، وقد دامت هذه الولاية ما يزيد على السنتين، وهي حلقة من حلقات المواقف والأحداث التي واجهها الأئمة عليهم السلام وكيفية من كيفيات تعامل المسرح السياسي مع خط الإمامة المعاصرة له وفي مرحلة من مراحلها، ليكون للإمام الذي يقود تلك المرحلة ما يقتضيه الظرف وتستدعيه الحالة من موقف.

ويحتاج الباحث في هذا الحدث الذي أحاط عصر الإمام الرضا عليه السلام إلى دراسة مستفيضة للظروف الذاتية التي ترتبط بشخصية الخليفة المأمون العباسي، والظروف الموضوعية التي كانت تحيط هذه الشخصية، وما تمليه عليه من مواقف وقرارات في شأن خط الإمامة ومرحلتها التي يتبناها الإمام الرضا عليه السلام.

مفاوضات العرض

ذكر المؤرخون أن المأمون العباسي، بعد أن إستقدم الإمام الرضا عليه السلام من المدينة إلى مرو مع جماعة من آل أبي طالب عن طريق البصرة، تحت ولاية الجلودي، وذلك في آخر سنة ٢٠٠هـ، بدأ المأمون يفاوضه بأن يقبل منه تولي الخلافة وبعد رفض الإمام عليه السلام لذلك طلب منه أن يقبل ولاية العهد، حتى قيل: إن المفاوضات إستغرقت شهرين، قَبِل بعدها الإمام الرضا عليه السلام ولاية العهد تحت الضغط والتهديد كما تنص الروايات.

قال المجلسي رحمه الله: فلما وافى مرو عرض عليه المأمون أن يتقلد الأمرة والخلافة، فأبى الرضا عليه السلام في ذلك، وجرت في هذا مخاطبات كثيرة، وبقوا في ذلك نحواً من شهرين، كل ذلك يأبى عليه أبو الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام أن يقبل ما يعرض عليه[1].

عن أبي الصلت الهروي، قال: إن المأمون العباسي، قال للرضا علي بن موسى عليه السلام: يا ابن رسول الله قد عرفت فضلك وعلمك وزهدك وورعك وعبادتك، وأراك أحق بالخلافة مني، فقال الرضا عليه السلام: «**بالعبودية لله عزّ وجل أفتخر، وبالزهد في الدنيا أرجو النجاة من شر الدنيا، وبالورع عن المحارم أرجو الفوز بالمغانم، وبالتواضع في الدنيا أرجو الرفعة عند الله عزّ وجل**».

فقال له المأمون: فإني قد رأيت أن أعزل نفسي عن الخلافة وأجعلها لك وأبايعك. فقال له الرضا عليه السلام: «**إن كانت هذه الخلافة لك وجعلها الله فيك فلا يجوز لك أن تجعل لي ما ليس لك**»، فقال له المأمون: يا ابن رسول الله لا بد لك من قبول هذا الأمر، فقال:

(١) بحار الأنوار: ٤٩ / ١٣٤.

«**لست أفعل ذلك طائعاً أبداً**»، فما زال يجهد به أياماً حتى يئس من قبوله، فقال له: فإن لم تقبل الخلافة ولم تحب مبايعتي لك فكن ولي عهدي لتكون لك الخلافة بعدي. فقال الرضا عليه السلام: «**والله لقد حدثني أبي عن آبائه عن أمير المؤمنين، عن رسول الله صلى الله عليه وآله أني أخرج من الدنيا قبلك مقتولا بالسم مظلوماً تبكي علي ملائكة السماء وملائكة الأرض، وأدفن في أرض غربة إلى جنب هارون الرشيد**»، فبكى المأمون، ثم قال له: يا ابن رسول الله ومن يقتلك أو يقدر على الإساءة إليك وأنا حيّ؟ فقال الرضا عليه السلام: «**أما أني لو أشاء أن أقول من الذي يقتلني لقلت**».

فقال المأمون: يا ابن رسول الله إنما تريد بهذا التخفيف عن نفسك ودفع هذا الأمر عنك ليقول الناس إنك زاهد في الدنيا.

فقال الرضا عليه السلام: «**والله ما كذبت منذ خلقني ربي عزّ وجل وما زهدت في الدنيا للدنيا، وإني لأعلم ما تريد**»، فقال المأمون: وما أريد؟ قال: «**الأمان على الصدق**»؟ قال: لك الأمان، قال: «**تريد بذلك أن يقول الناس: إن علي بن موسى لم يزهد في الدنيا بل زهدت الدنيا فيه، ألا ترون كيف قبِل ولاية العهد طمعاً في الخلافة**».

فغضب المأمون، ثم قال: إنك تتلقاني أبداً بما أكرهه وقد أمنت سطوتي، فبالله أقسم، لئن قبلت ولاية العهد، وإلا أجبرتك على ذلك، فإن فعلت وإلا ضربت عنقك.

فقال الرضا عليه السلام: «**قد نهاني الله عزّ وجل أن ألقي بيدي إلى التهلكة، فإن كان الأمر على هذا، فافعل ما بدا لك، وأنا أقبل ذلك على أني لا أولي أحداً ولا أعزل أحداً، ولا أنقض رسماً ولا سنة، وأكون في الأمر من بعيد مشيراً**»، فرضي منه بذلك وجعله ولي عهده على كراهة منه عليه السلام لذلك[1].

---

(١) بحار الأنوار ٤٩ / ١٢٩ – ١٣٠، وهكذا ورد في أمالي الصدوق ص٦٨ وعيون أخبار الرضا ٢ / ١٣٩.

وعن ياسر، قال: لما ولّي الرضا عليه السلام العهد، سمعته وقد رفع يديه الى السماء، وقال: «**اللهم إنك تعلم أني مكره مضطر فلا تؤاخذني كما لم تؤاخذ عبدك ونبيك يوسف حين وقع إلى ولاية مصر**»[1].

تساؤلات

ومن خلال النظر الى هذه المفاوضات، وما أسفرت عنه في شأن العرض السياسي للمأمون تتبادر عدّة تساؤلات:

١ – لماذا أشخص الإمام الرضا عليه السلام بل أجبر – كما يبدو – على مغادرة مدينة جده الرسول صلى الله عليه وآله التي ألفها، وكانت مركز وظيفته الشرعية في توجيه الأمة وإعدادها إسلامياً؟

٢ – لماذا أوكل المأمون مهمة جلب الإمام الرضا عليه السلام إلى الجلودي الذي كان والياً على المدينة آنذاك، والجلودي كان معروفاً بعدائه لأهل البيت عليهم السلام؟ وإن كان هناك قول بأن المأمون كلّف رجاء بن الضحاك، وهو لا يقل عن الجلودي عداءاً لأهل البيت عليهم السلام.

٣ – لماذا سلك طريق البصرة فالأهواز إلى مرو، في حين هناك طريق أقصر وأسهل؟ ولماذا إلى مرو بالخصوص؟

٤ – ما هي فحوى إقرار المأمون بفضل الإمام الرضا عليه السلام وعلمه وورعه، بل إعترافه بأن الخلافة حق شرعي له؟

٥ – لماذا بدأ المأمون بالتنازل عن الخلافة وعرضها على الإمام الرضا عليه السلام؟ ولماذا لم يواجه الإمام الرضا عليه السلام إلحاحاً وإصراراً من المأمون في شأن الخلافة، كما حصل هذا الإلحاح في شأن ولاية العهد، حيث بلغ إلى حد التوعيد والتهديد بالقتل عند الرفض؟

---

(١) عيون أخبار الرضا ٢ / ١٤٧.

٦ – لماذا رفض الإمام الرضا عليه السلام الخلافة رفضاً قاطعاً مع أنها كانت تبدو فرصة قد أُتيحت للإمام الرضا عليه السلام للقيام بوظيفته الشرعية تجاه الأمة؟

ومن الطبيعي هذه التساؤلات وشبهها، تتبين أجوبتها من خلال الدراسة لظروف ودوافع هذا العرض السياسي الخطير.

ظروف العرض ودوافعه

ذهب المؤرخون والمحللون هنا وهناك إلى مذاهب شتى في تفسير هذا الموقف، وهل أن المأمون كان صادقاً في عرضه، أم أن هناك دوافع سياسية أملت على المأمون هذا الموقف؟

هناك عدة آراء وتحليلات متباينة أو متوافقة من بعض جهاتها:

١ – قيل: إن المأمون وقع تحت ضغط الفضل بن سهل الذي كان طويل الباع، كثير النفوذ في خلافة المأمون، وهو الوزير الأمير كما يعبرون، وكان يملي على المأمون مواقفه وقراراته السياسية.

ويرى هذا الرأي، جرجي زيدان في كتابه (تأريخ التمدن الإسلامي) حيث يقول: «فبذل الفضل جهده في تحريض المأمون على بيعة علي الرضا بولاية العهد بعده، أي أن يخرج الخلافة من بني العباس الى العلويين، وربما جعل تلك البيعة شرطاً لمساعدته في استرجاع الخلافة له، أو أنه حسن له ذلك ولم يشترطه، فأجابه المأمون إلى طلبه، إما وفاءاً لوعده، أو مجاراة له للمكر به»[1].

ونقل المجلسي رحمه الله عن قوم فقال: «قد ذكر قوم أن الفضل بن سهل أشار على المأمون بأن يجعل علي بن موسى الرضا عليه السلام ولي عهده، ومنهم أبو علي الحسين بن أحمد السلامي فإنه ذكر ذلك في كتابه الذي صنفه في أخبار خراسان، قال: فكان الفضل بن

(١) تاريخ التمدن الإسلامي ٤ / ١٦٩، دار الهلال – مصر.

سهل ذو الرئاستين[١] وزير المأمون ومدبر أمره... إلى قوله: فلما بلغ المأمون خبر إبراهيم علم أن الفضل بن سهل أخطأ عليه وأشار بغير الصواب فخرج من مرو منصرفاً إلى العراق واحتال على الفضل بن سهل حتى قتله غالب خال المأمون في الحمام بسرخس مقاصة...»[٢].

ولكن كل ما ورد من الروايات في هذا الصدد محل نظر، نظراً إلى أن المأمون لم يكن بذلك الضعف، وعدم الدهاء، بحيث يقع تحت تأثير وزير من وزرائه.

ثم ما هو الدافع الذي يدفع الفضل بن سهل إلى هذا الضغط على المأمون؟ هل هو الحب للعلويين والولاء لهم؟ فهو رجل من أولاد ملوك الفرس، كان قهرماناً ليحيى بن خالد البرمكي، أسلم أبوه سهل أيام الرشيد، بعد أن كان مجوسياً، ولازم الفضل المأمون من صباه إلى أن أفضت الخلافة إليه.

وقد قال عنه الدكتور أحمد رفاعي: إن الفضل بن سهل لعب مع المأمون ذلك الدور الخطير بذاته الذي لعبه الفضل بن الربيع مع الأمين وان كلاً منهما قد توكأ على أميره لغايته واستغله في سبيل نجاح سياسته ودفع به الى حيث يريد[٣].

ولو كان الفضل بن سهل يريد الولاية للامام الرضا عليه السلام فلماذا يتآمر عليه، ويحاول حياكة الحيلة للتخلص منه؟ وذلك بما روي: أنه قصد الفضل بن سهل مع هشام بن عمرو الرضا عليه السلام فقال له: يا ابن رسول الله جئتك في سر، فأَخَلِ لي المجلس، فأخرج الفضل يميناً مكتوبة بالعتق والطلاق، وما لا كفارة له، وقالا له: إنا جئناك لنقول كلمة حق وصدق وقد علمنا أن الإمرة إمرتكم والحق حقكم يا ابن رسول الله، والذي نقول

(١) سمي ذو الرئاستين لأنه كان يجمع بين رئاسة الإدارة في البلاط ورئاسة الجند، فهما رئاستا القلم والسيف.

(٢) بحار الأنوار ٤٩ / ١٤٢ – ١٤٣.

(٣) عصر المأمون: ١ / ٢٢٣

بألسنتنا عليه ضمائرنا وإلا نعتق ما نملك والنساء طوالق، وعلي ثلاثون حجة راجلاً أنا، على أن نقتل المأمون ونخلص لك الأمر حتى يرجع الحق إليك، فلم يسمع منهما وقال لهما: «**كفرتما النعمة، فلا تكون لكما سلامة ولا لي إن رضيت بما قلتما**».

فلما سمع الفضل ذلك منه مع هشام عَلِماً أنهما أخطآ فقصدا المأمون بعد أن قالا للرضا عليه السلام: أردنا بما فعلنا أن نجربك، فقال لهما الرضا عليه السلام «**كذبتما فإن قلوبكما على ما أخبرتماني إلا أنكما لم تجداني نحو ما أردتما**». فلما دخلا على المأمون قالا: يا أمير المؤمنين إنا قصدنا الرضا وجربناه وأردنا أن نقف على ما يضمره لك فقلنا وقال فقال المأمون: وفقتما فلما خرجا من المأمون قصده الرضا عليه السلام وأخليا المجلس وأعلمه ما قالا وأمره أن يحفظ نفسه منهما فلما سمع ذلك من الرضا عليه السلام علم أن الرضا هو الصادق[1] مضافاً الى ذلك: أنه ذكر جماعة من أصحاب الأخبار، ورواة السير من أيام الخلفاء، أن المأمون لما أراد العقد للرضا علي بن موسى عليه السلام وحدّث نفسه بذلك، أحضر الفضل بن سهل وأعلمه بما قد عزم عليه من ذلك.

وهذا يشير إلى ما اعتاد عليه الملوك والخلفاء من الإهتمام باستشارة ذوي الشأن من وزرائهم وأعضاء حكومتهم، وهذه الإستشارة لا تخرج الخليفة عن كونه صاحب القرار وزعيم الموقف، بالرغم من أن آخر الرواية يشير إلى المعارضة الشديدة من قبل الحسن بن سهل وأخيه الفضل بشأن تولي الإمام الرضا عليه السلام لولاية العهد، لما فيه من إخراج الأمر من أهله، وأمسكا عن معارضته لما رأيا أنه قد عزم على ذلك، فأرسلهما إلى الرضا عليه السلام فعرضا عليه ذلك.

٢ – ما يظهر من الروايات أن المأمون كان يرى الفرق بين البيت العباسي، والبيت العلوي، وكان يسعى جاداً لنقل الخلافة إلى البيت العلوي بدافع ولائه وحبه وتشيعه

(١) بحار الأنوار: ٤٩ / ١٦٣ – ١٦٤، وعيون أخبار الرضا ٢ / ١٦٧.

لأهل البيت عليهم السلام فكان هذا دافعاً له للعرض السياسي الخطير.

وقد يستشف هذا الدافع من خلال بعض الروايات التي تتحدث عن صريح إعتراف المأمون بفضل الإمام الرضا عليه السلام وإقراره بأنه أحق منه بهذا الأمر، كما تقدم في بداية المفاوضات بينه وبين الإمام عليه السلام.

وفي رواية أخرى قال المأمون لأصحابه يوماً: أتدرون من علمني التشيع؟ قالوا: لا، قال: علمنيه الرشيد، قالوا: كيف؟ قال: لما دخل الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام على الرشيد في المدينة، رأيت تواضع الرشيد له وتعظيمه إياه بما ألفت نظري، قال: فلما خلا المجلس قلت: يا أمير المؤمنين مَن هذا الرجل الذي عظّمته وأحللته وقمت من مجلسك إليه فاستقبلته وأقعدته في صدر المجلس وجلست دونه وأمرتنا بأخذ الركاب له؟! قال: هذا إمام الناس وحجة الله على خلقه على عباده، فقلت: يا أمير المؤمنين أوليست هذه الصفات كلها لك وفيك؟؟ فقال: أنا إمام الجماعة في الظاهر والغلبة والقهر، وموسى بن جعفر إمام حق، والله يا بني إنه لأحق بمقام رسول الله صلى الله عليه وآله مني ومن الخلق جميعاً، والله لو نازعتني هذا الأمر لأخذت الذي فيه عيناك فإن الملك عقيم.

كما أن هناك مؤشرات أخَر إلى هذا التعاطف والولاء للبيت العلوي، إستشف منها المؤرخون حسن نية المأمون في عرضه السياسي:

أ – خلع أخاه المؤتمن من ولاية العهد.

ب – زوّج ابنته – أم حبيبة – من الإمام الرضا عليه السلام.

جـ – بدّل شعار العباسيين – وهو السواد – باللباس الأخضر وهو شعار العلويين.

د – ضرب النقود بإسم الإمام الرضا عليه السلام.

ولكن ينبغي أن نكون على جانب آخر من الدقة في الموقف ونعرف:

أولاً: إن مثل هذا الولاء والتشيع، رغم ظهوره على مواقف المأمون تجاه البيت العلوي، إلا أنه لا يكفي وحده دافعاً إلى هذا العرض الخطير الذي ابتدأ بعرض الخلافة، ثم ولاية العهد، ما لم يكن هناك فناء للذات في الحق، ورفض للدنيا على حساب الآخرة ومرضاة الله عزّ وجل.

ثانياً: بل حتى المعرفة بحق البيت العلوي، والإعتراف بقدره ومنزلته، كما عرفنا من موقف الرشيد الذي قد علّم المأمون التشيع، حيث أقسم له قائلاً: والله يا بني إنه لأحق بمقام رسول الله صلى الله عليه وآله مني ومن الخلق جميعاً – يعني الإمام موسى بن جعفر عليه السلام – فهذه المعرفة وهذا الإعتراف الصريح، كما أنه لم يدع الرشيد الى التنازل للإمام موسى بن جعفر عليه السلام فكذلك لم يدع المأمون الى البيعة للإمام الرضا عليه السلام بولاية العهد لولا ان هناك عوامل ودوافع أخَر أكبر أثراً من ذلك.

ثالثاً: إن تنازل المأمون عن الخلافة إبتداءاً، وعدم إلحاحه وإصراره على قبول الإمام الرضا بهذا الأمر، مع إعترافه له بالفضل والعلم والورع والتقى والحق، كان ذلك كله يهدف إلى تهيئة نفس الإمام الرضا عليه السلام والدخول الى عواطفه من خلال تعابير تدخل إلى نفسه لتزيد من ثقته بعرض المأمون لقبول ولاية العهد... وإلا فما معنى التهديد والتوعيد بالقتل في نهاية المطاف؟!.

٣ – قيل: إن المأمون كان ملتزماً بنذر نذره لله عزّ وجل لئن أنجاه الله تعالى من عادية كانت تدور عليه، ليولي البيت العلوي حقهم، ويتنازل للأتقى والأورع منهم إليه الأمر، وهو ما يستنتج من رواية الريان بن الصلت.

قال: قال أكثر الناس في بيعة الرضا عليه السلام من القواد والعامة، ومن لا يحب ذلك، وقالوا: إن هذا من تدبير الفضل بن سهل ذي الرئاستين، فبلغ ذلك المأمون، فبعث إليّ في جوف الليل، فصرت اليه، فقال: يا ريان بلغني أن الناس يقولون: إن بيعة الرضا عليه السلام

كانت من تدبير الفضل بن سهل؟ فقلت: يا أمير المؤمنين يقولون هذا.

قال: ويحك يا ريان أيجسر أحد أن يجيء إلى خليفة قد إستقامت له الرعية والقواد، واستوت له الخلافة، فيقول له: إدفع الخلافة من يدك إلى غيرك أيجوز هذا في العقل؟

قلت له: لا والله يا أمير المؤمنين ما يجسر على هذا أحد، قال: لا والله ما كان كما يقولون، ولكن سأخبرك بسبب ذلك، أنه لما كتب إلي محمد أخي يأمرني بالقدوم عليه فأبيت عليه، فعقد لعليّ بن عيسى بن ماهان، وأمره أن يقيدني بقيد، ويجعل الجامعة في عنقي، فورد علي بذلك الخبر، وبعثت هرثمة بن أعين إلى سجستان وكرمان وما والاهما، فأفسد علي أمري، وانهزم هرثمة، وخرج صاحب السرير، وغلب على كور خراسان من ناحيته، فورد علي هذا في أسبوع.

فلما ورد ذلك علي لم يكن لي قوة بذلك، ولا كان لي مال أتقوى به، ورأيت من قوادي ورجالي الفشل والجبن، أردت أن ألحق بملك كابل، فقلت في نفسي: ملك كابل رجل كافر، ويبذل محمد له الأموال، فيدفعني إلى يده، فلم أجد وجهاً أفضل من أن أتوب الى الله عزّ وجل من ذنوبي، وأستعين به على هذه الأمور وأستجير بالله عزّ وجل، أمرت بهذا البيت – وأشار بيده إلى بيت تكنس – وصببت علي الماء ولبست ثوبين أبيضين، وصليت أربع ركعات، قرأت فيها من القرآن ما حضرني، ودعوت الله عزّ وجل، واستجرت به، وعاهدته عهداً وثيقاً بنية صادقة، إن أفضى الله بهذا الأمر إليّ، وكفاني عاديته، وهذه الأمور الغليظة، أن أضع هذا الأمر في موضعه الذي وضعه الله عزّ وجل فيه.

ثم قوي فيه قلبي، فبعثت طاهراً إلى علي بن عيسى بن ماهان، فكان من أمره ما كان، ورددت هرثمة إلى رافع فظفر به وقتله، وبعثت إلى صاحب السرير فهادنته، وبذلت له شيئاً حتى رجع، فلم يزل أمري يقوى حتى كان من أمر محمد ما كان، وأفضى

الله إلي بهذا الامر واستوى لي.

فلما وافى الله عزّ وجل لي بما عاهدته عليه، أحببت أن أفي لله تعالى بما عاهدته، فلم أرَ أحق بهذا الأمر من أبي الحسن الرضا عليه السلام فوضعتها فيه فلم يقبلها إلا على ما قد علمت فهذا سببها.

هذا ما كان يظهره المأمون للريان بن الصلت في شأن الدافع الذي دفعه لهذا الغرض، ولكن من حقنا أن نقول: إن هذا الأمر وإن كان طبيعياً بالنسبة إلى الإنسان – أي إنسان مهما قويت شوكته وعلت همته – إذا تعرض إلى أمر خطير، وضاق عليه الخناق، تصبح المحنة غالباً، دافعاً من دوافع اللجوء والتشبث بوسائل النجاة، التي من جملتها: إبرام العهود والنذور بأشياء قد تكون أحياناً غير مقدورة للإنسان، لأن النذور والعهود في حالات الشدة، تنبع من غريزة محضة – هي غريزة حب البقاء – وفي هذه الحالة تكون القوة العقلية بعيدة عن وضعها الطبيعي، فما إن تزول الشدة، وينكشف الضر ويعود العقل إلى وضعه الطبيعي، عاد الإنسان إلى طبيعة وأنماط سلوكه المعتادة.

وقد بيّن القرآن الكريم هذه الحقيقة بقوله تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٖ ﴾[1].

وغالباً ما تكون المحنة وسيلة إيقاظ وتنبيه للإنسان ليتدارك خطأه ويفكر في أمر ربه وآخرته بجديّة أكثر مما لو كان في حال إعتيادية.

ومثل هذه الحالة التي إعترت المأمون آنذاك كانت وليدة ظرف قاسٍ ومحدود، لا تكفي أن تكون دافعاً رئيسياً لإتخاذ مثل هذا القرار الخطير، ما لم تكن هناك حالة أخرى تشكل خطراً دائماً، لتكون دافعاً رئيسياً لإتخاذ الموقف الذي إتخذه المأمون في شأن ولاية العهد.

---

(١) فصلت: الآية ٥١.

مضافاً الى ذلك: فإن هذا الإفتراض لا يمنعنا من القول: إن المأمون، قد يكون إتخذ هذا التدبير إيهاماً وتلبيساً على المجتمع الذي كان يلومه على هذه الخطوة، لأن المجتمع لم يكن يعرف ما هي دوافعه وأغراضه منها، وهو لا يمكنه الكشف عن أهدافه ومراميه السياسية لأيٍّ كان.

٤ – وعندها لا بد أن ندقق أكثر في الظرف الذي كان يكتنف المأمون آنذاك، والخطر المحدق به من محيطه على صعيدين:

الأول: على صعيد العائلة العباسية، حيث كانت تكيل له السخط والرفض لأسباب عديدة، منها قتله لأخيه الأمين وتثكيل زبيدة أم الأمين، وتقريبه للعنصر الفارسي كالفضل بن سهل، وخلع أخيه المؤتمن من ولاية العهد، وإتخاذ مرو عاصمة لدولته مما كان له ردود فعل خاصة في نفوس العباسيين.

الثاني: علي صعيد العائلة العلوية، التي كانت تشكل حزباً واسع النطاق، يتحرك بقواعده الشعبية، ويمهد للثورة على العباسيين، وقد حدثت عدة حركات وثورات علوية في كثير من الأقطار المحيطة، منها:

أ – ثورة يحيى بن عبد الله بن الحسن بن علي، على الرشيد وكان يحيى قد نجا من وقعة (فخ) التي حدثت في خلافة الهادي، والتي قادها الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام المسمى بالحسين بن علي الخير، الذي قتل فيها وحمل رأسه الى الهادي مع سباياه.

فتغلب يحيى على الديلم، وقويت شوكته، فبعث الرشيد إلى قتله الفضل بن يحيى بن خالد بسرية من الجيش، ولكنه لم يقاتله، بل صالحه على أن يكتب له أماناً بخط الرشيد، فكتب له الأمان واستقدمه إلى بغداد.

وبعد حين تنكّر له الرشيد وسجنه، فقال للرشيد: يا أمير المؤمنين إن لنا قرابة

ورحماً، ولسنا بترك ولا ديلم، أنا وأنت بيت واحد فأذكرك الله وقرابتنا من رسول الله ﷺ علامَ تحبسني وتعذبني[١].

ب – ثورة إدريس بن عبد الله بن الحسن – وهو أيضاً – كان من الناجين من وقعة (فخ) وتمكن من إقامة دولة علوية، وهي (دولة الأدارسة) سنة ١٧٢ هـ في بلاد المغرب الأقصى في شمال أفريقيا، ولما بلغ الرشيد أمره وكثرة جنوده وكثرة التأييد له، ولكنه عدل عن فكرته لبعد المسافة، فأرسل إليه سليمان بن جرير المعروف بالشماخ، وطلب منه أن يحتال في قتله، فاختص به الشماخ متظاهراً بالتقدير له والإعجاب بحديثة، وانتهز الفرصة في سمّه، فسمّه سنة ١٧٧ هـ وفرّ هارباً[٢].

جـ – وفي خلافة المأمون، وفي سنة ١٩٩ هـ حدثت أخطر ثورة، وهي ثورة محمد بن إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام المعروف بـ(إبن طباطبا) وكانت ثورته في الكوفة، معتمداً في أموره العسكرية على السري بن منصور الملقب بأبي السرايا.

والكوفة التي كانت من قبل قد خانت الحسين عليه السلام، وأوقعت كذلك بزيد بن علي وتركته يقاتل وحده، أصبحت في زمن إبن طباطبا من أهم القواعد المتعاطفة مع العلويين وأبدت إستجابة فريدة من نوعها لثورة إبن طباطبا، وحتى بعد فشل ثورته إستقل عمّاله العلويون بالحكم في المناطق التي تولوها، قبل أو بعد وفاة محمد بن إبراهيم التي تضاربت فيها الأقوال هل أنها وفاة طبيعية أو كانت من تدبير أبي السرايا؟ فهذا مما لا يسعنا الدخول فيه.

د – ثورة إبراهيم بن موسى بن جعفر عليه السلام في اليمن وإستيلاؤه على الحكم بعد

---

(١) الآداب السلطانية للفخري ص١٤٥.

(٢) راجع تأريخ إبن خلدون: ج٤ ص٧.

إخراج عامل المأمون منها وهو (إسحاق بن موسى العباسي) الذي خرج منصرفاً بجميع من في عسكره من الخيل والرجال، وأخلى مدينة صنعاء لإبراهيم بن موسى وخشي قتاله، حتى بقيت اليمن منشدّة للحركة العلوية حتى اضطر المأمون إلى إبقاء إبراهيم بن موسى بن جعفر والياً على اليمن لإستعدادها للإنقياد بالطاعة لأوامر البيت العلوي، إبان تولي الإمام الرضا عليه السلام لولاية العهد.

هـ – ثورة زيد بن موسى بن جعفر عليه السلام في البصرة وهو المسمى بـ(زيد النار) لأنه عمد إلى حرق دور العباسيين بالنار، وكان الوالي على البصرة آنذاك الحسن بن علي المعروف بالمأموني، ولكنه لم يستطع الوقوف أمام قيادة زيد بن موسى، حتى أوفد إليه الحسن بن سهل بجيش كبير بقيادة علي بن أبي سعيد، فتمكن من استرجاع البصرة لحوزة العباسيين، وأسر زيد بن موسى إلى المأمون فاستعفاه، فعفا عنه لقربى الإمام الرضا عليه السلام وليّ عهد المأمون آنذاك.

و – ثورة الحسين بن هرش في خراسان سنة ١٩٨ هـ والذي قاد الحركة العلوية وتبعه كثير من الفرس، وكانت هذه الحركة قد هددت قاعدة المأمون في مرو مباشرة، وبعقلية الفضل بن سهل العسكرية وإلتزامه بالمأمون، إنتصر الجيش العباسي على الحسين بن هرش وألقي عليه القبض سنة ١٩٩ هـ وجيء به إلى المأمون فأمر بقتله[1].

هذا هو شأن الإرهاصات والتداعيات العسكرية التي كانت تحيط المأمون، وتطوق قاعدته في مرو، والتي لم تنته إلى حد معين.

لكن هناك ما هو أهم من تلك الثورات العسكرية التي تم إخمادها بالحنكة والقوة العسكرية، والأمر الأهم هو تعاطف القواعد الشعبية الواسع مع خط الإمام الرضا عليه السلام لما كان يقوم به من دور فاعل بكفاءته العلمية وورعه وزهده، كان يلفت نظر المأمون

(١) راجع البداية والنهاية لإبن كثير: ج١٠ ص٢٤٧.

كثيراً وهو يرى في المدينة – بمقابله – زعيماً وإماماً ورائداً جريئاً إمتد باعه واتسعت دائرة فكره الى خراسان وذلك من خلال دورين رئيسيين كان يؤديهما الإمام الرضا عليه السلام تجاه الأمة.

الأول: دور التوعية والتربية العقائدية، والتثقيف الواسع الذي أعطى القاعدة الشعبية دافعاً للتماسك والالتحام مع خطه عليه السلام، حيث كانت مدرسته الواسعة امتدادا لمدرسة الإمام الصادق عليه السلام التي كانت تخرج الفقهاء والمحدثين.

الثاني: دور النشاط العلني والجرأة الفائقة التي كان يتمتع بها الإمام الرضا عليه السلام ضد الخط العباسي، حتى خشي عليه جمع من شيعته، وأبوا عليه أن يعرض نفسه لقوة السلطات العباسية وذلك:

جاء عن محمد بن سنان، قال: قلت لأبي الحسن الرضا عليه السلام في أيام هارون الرشيد: إنك قد شهرت نفسك بهذا الأمر، وجلست مجلس أبيك، وسيف هارون يقطر الدم؟ قال: «**جرأني على هذا ما قاله رسول الله صلى الله عليه وآله: إن أخذ أبو جهل من رأسي شعرة فاشهدوا أني لست بنبي، وأنا أقول لكم: إن أخذ هارون من رأسي شعرة فاشهدوا أني لست بإمام**»[1].

فمن خلال الدراسة لهذا الظرف المحيط بخلافة المأمون، يحق لنا أن نقول: إن مجموع تلك التداعيات والثورات العسكرية التي حدثت ضد بني العباس من ناحية، وتعاطف القواعد الشعبية والتحامها وثقتها بخط الإمام الرضا عليه السلام من ناحية أخرى، يتشكل في محيط المأمون ظرف غير عادي له آثاره ونتائجه على أبعد مديات خلافته.

لذلك جاء قراره الخطير بعرض الخلافة أولاً على الإمام الرضا عليه السلام – وهو يعلم أنه سيرفضها – وبعد رفض الإمام عليه السلام لها، عرض عليه ولاية العهد، وأصر على قبولها،

(١) بحار الأنوار:٤٩/ ١١٥

فقبلها الإمام الرضا عليه السلام تحت القسر والتهديد والوعيد، كما تؤكده الروايات المتكثرة في ذلك، وسبق بيانه في الحديث حو مفاوضات العرض، حيث انتهى الإمام الرضا عليه السلام إلى القول:

«**قد نهاني الله عزّ وجل ألقي بيدي إلى التهلكة، فإن كان الأمر على هذا فافعل ما بدا لك، وأنا أقبل ذلك، على أن لا أولي أحداً ولا أعزل أحداً، ولا أنقض رسماً ولا سنة وأكون في الأمر من بعيد مشيراً**». فرضي منه بذلك وجعله ولي عهده على كراهة منه عليه السلام لذلك[1].

ومن هنا يتبين الجواب حول إشكالية عدم قبول الإمام الرضا عليه السلام للخلافة في الوقت الذي تعد هذه الفرصة من أهم الفرص المواتية لإستلام الحكم، لو كان الإمام الرضا عليه السلام يريد أن يبلغ بالأمة إلى حكم القرآن والسنة وذلك أن الإمام الرضا عليه السلام لم يقبل الخلافة من ناحيتين:

الأولى: لأنه يعلم أن المأمون لم يعرض الخلافة إلا وسيلة لإثبات حسن نيته، وكتمهيد لتهيئة نفس الإمام الرضا عليه السلام لقبول ولاية العهد، ولم يكن العرض للخلافة جدياً، وإلا لأكد المأمون عرضه بالإلحاح والإصرار كما فعل في ولاية العهد.

الثانية: أن الإمام الرضا عليه السلام لم يقبل هذا العرض لأنه يرى أن الخلافة التي يقبلها لا بد وأن تكون نموذجاً حياً وصادقاً في تطبيق أحكام الله عزّ وجل في كل شريحة من شرائح الدولة وقطعاً لم يكن باليسير تقبل المأمون لهذه النظرية الشاملة ولم يكن يتيسر الكادر الكامل لإدارة المهام السياسية بصورة كاملة وشاملة.

---

(١) بحار الأنوار: ٤٩ / ١٣٠.

أهداف العرض

وبعد الإحاطة بجملة من الظروف الذاتية والموضوعية، التي كانت تحيط المأمون، وبعد ملاحظة هذا التدرج في العرض من الخلافة إلى ولاية العهد، وملاحظة أن القسر والتهديد والوعيد لم يصدر من المأمون على مستوى عرض الخلافة، وإنما بعد تنازل الإمام الرضا عليه السلام ورفضه للخلافة، جاء التهديد على مستوى عرض ولاية العهد، بعد كل هذا نتبين الأغراض والغايات التي كان ينشدها المأمون من وراء هذا العرض، هي:

أولاً: التقليل من شأن الإمام عليه السلام

وذلك بحكم ارتباط الإمام عليه السلام بقواعد شعبية واسعة، من خلال المؤسسة التدريسية التي كان يديرها في المدينة، والتي ضمت جموعاً لها مكانتها من الفقهاء والعلماء.

وقطعاً أن هذه الوظيفة في نظر الإمام الرضا عليه السلام أهم بكثير من أن يزج نفسه في شؤون الحكم، وهي من وظائف الإمامة الرئيسية، كما أن القاعدة الشعبية المعتقدة بخط الإمام عليه السلام تؤمن أن ما يقوم به الرضا عليه السلام من عملية التثقيف والتربية والإعداد على أساس القرآن والسنة، ما هي إلا إمتداد لخط أجداده الذين كان لهم موقفهم من المناصب السياسية، والذين لم يقبلوا بأنصاف الحلول السياسية بينهم وبين خلفاء زمانهم، لأن هذه المواقف لا تنسجم مع مدرسة أهل البيت عليهم السلام التي لم تكن تتبنى خطاً ثالثاً بين خط الحكم الشامل بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وخط التخلي وترك المناصب السياسية لأهلها ما لم تنسجم مع الأطروحة التي طرحتها مدرستهم في الأوساط حول الخلافة بصفتها

وسيلة للوصول إلى غاية أسمى وأنبل من المنصب السياسي.

وعلى هذا فإن إقحام الإمام الرضا عليه السلام في ولاية العهد، سوف يقلل من أهميته وشأنه في نظر شيعته، من خلال قبوله بالحل الوسط، وانتظار أن تصير الخلافة إليه بعد مرحلة تأريخية خاضعة لكثير من الظروف والمتغيرات التي يعلمها الله عزّ وجل.

لذلك أشار الإمام الرضا عليه السلام إلى ذلك المغزى الذي يدور بنفس المأمون، لأجل أن يدير الشك والريب من النفوس في إمامته وخطه الذي يتبناه امتداداً لخط آبائه وأجداده عليهم السلام.

فقال عليه السلام: «**والله ما كذبت منذ خلقني ربي عزّ وجل، وما زهدت في الدنيا للدنيا، وإني لأعلم ما تريد**»، فقال المأمون: وما أريد؟ قال: «**الأمان على الصدق**»؟ قال: لك الأمان، قال: «**تريد أن يقول الناس: إن علي بن موسى لم يزهد في الدنيا بل زهدت فيه، ألا ترون كيف قبل ولاية العهد طمعاً في الخلافة**»، فغضب المأمون وقال: إنك تتلقاني أبداً بما أكرهه)[1]. وعندها إنتهت المناورة وأسفرت عن الجبر والقسر والتهديد.

ثانياً: محاولة إكتساب الطابع الشرعي

وذلك: حديث الناس جميعاً بموقف أهل البيت عليهم السلام من الخلافة العباسية، ويعتقدون بأن الأليق بهذا المنصب، والأجدر بإقامة العدل هو الإمام المعصوم عليه السلام وحتى الجماهير العباسية كانت تنظر إلى خلافة المأمون بعين الشك والإرتياب، وعدم الثقة بشرعيتها، للأسباب التي سبق ذكرها.

وبذلك يصبح تنازل الإمام الرضا عليه السلام إشار إلى هذا المغزى في نفس المأمون، من خلال المفاوضات التي جرت بينهما، ليكشف ما في نفس المأمون، ويثبت له وللملأ،

---

(١) بحار الأنوار: ٤٩ / ١٢٩.

أن الهبة لهذا المنصب هي هبة ربانية قبل أن تكون بشرية يوجهها الإنسان حيث يشاء، وذلك:

لما قال له المأمون: فإني رأيت أن أعزل نفسي عن الخلافة وأجعلها لك وأبايعك... فقال له الرضا عليه السلام: «**إن كانت الخلافة هذه لك، وجعلها الله لك، فلا يجوز أن تخلع لباساً ألبسكه الله وتجعله لغيرك، وإن كانت الخلافة ليست لك فلا يجوز أن تجعل ما ليس لك لغيرك**»[1].

ليثبت الإمام الرضا عليه السلام أن المأمون كان على ثقة أن الخلافة ليست له، وإنما هي حق شرعي للإمام الرضا عليه السلام وإلا لما كان يعمد إلى التنازل عنها – وإن كان تنازلاً صورياً – وهو ينطوي على العلم بأن الإمام عليه السلام لم يقبل بهذا العرض لأنه لا يثق تمام الثقة بصدق المأمون من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن الإمام عليه السلام لا يملك الكادر الذي يعطي الخلافة حقها، ويضعها حيث يريد طبقاً للخط الذي تتبناه، لأن الإلتحام العاطفي بينه وبين قواعده الشعبية لا يكفي لحمل الخلافة بأعبائها الكبرى، ومواجهة مشاقها.

وعندئذٍ يعد تنازل الإمام الرضا عليه السلام ظاهراً، منها إلى ولاية العهد – ولو كانت تحت الضغط والقسر، كما حدث – يعد هذا التنازل من جهة والقبول من جهة أخرى إقراراً وإعترافاً بشرعية الخلافة، ليتسنى للمأمون ممارسة منصبه تحت ظل شرعية الإمام الرضا عليه السلام.

ويكشف المأمون في موضع آخر عن خبايا نفسه تجاه الإمام الرضا عليه السلام ويؤكد هذا الغرض (إكتساب ثوب الشرعية) وذلك لما لامه جمع من العباسيين على هذه الخطوة، قال:«لقد كان هذا الرجل مستتراً عنا يدعو إلى نفسه، فأردنا أن نجعله وليَّ عهدنا، ليكون دعاؤه لنا، وليعترف بالملك والخلافة لنا، وليعتقد فيه المفتونون به، بأنه ليس مما

(١) بحار الأنوار ٤٩ / ١٢٩.

إدعى في قليل ولا كثير وإن هذا الأمر لنا دونه»[١].

ثالثاً: إمتصاص النقمة الشعبية

وذلك: لأن خلافة المأمون تواجه معارضة جدية من كلتا العائلتين العباسية والعلوية، فأراد المأمون بهذا العرض، أن يجعل الإمام الرضا عليه السلام كورقة مساومة بينه وبين العباسيين من جهة، وبينه وبين العلويين والشيعة في خراسان من جهة أخرى... وخصوصاً على صعيد العلويين فإن الإرهاصات الثورية تعتبر داعية رعب مستمر للمأمون، فحاول إخمادها وكسب عواطف الجماهير إلى جانبه باحتواء زعيمهم وإقحامه في مسؤوليات الحكم.

ويتبين ذلك من خلال بعض فقرات الرسالة التي وجهها المأمون إلى العباسيين في سبيل إرضائهم وإمتصاص غضبهم، فكان يقول:

«وأما ما كنت أريده من البيعة لعليّ بن موسى، بعد إستحقاق منه لها في نفسه، وإختيار مني له، فما كان ذلك مني إلّا أن أكون الحاقن لدمائكم والذائد عنكم، بإستدامة المودة بيننا وبينهم، وهي الطريق أسلكها في إكرام آل أبي طالب ومواساتهم في الفيء بيسير ما يصيبهم منه، وأن تزعموا أني أردت أن يؤول إليهم عاقبة ومنفعة فإني في تدبيركم والنظر لكم ولعقبكم وأبنائكم من بعدكم، وأنتم ساهون لاهون تائهون في غمرة تعمهون لا تعلمون ما يراد بكم...»[٢].

وسلك الإمام الرضا عليه السلام مسلك الرفض في سبيل أن يفند هذه الغاية، ويبدد إشعاعاتها في نفوس العلويين والعباسيين معاً، فأبدى تذمره ورفضه لهذا العرض على

(١) بحار الأنوار ٤٩ / ١٨٣، وعيون أخبار الرضا ٢ / ١٧٠.

(٢) بحار الأنوار ٤٩ / ٢١٣، وينابيع المودة للقندوزي ص٤٨٤، وروي قسم منها في الغدير ١ / ٢١٢.

ثلاث مراحل:

الأولى: مرحلة الرفض الشديد كما عرفنا خلال المفاوضات التي جرت بينهما.

الثانية: بعد إصرار المأمون وتهديده، كان القبول بشرط أن لا ينصب ولا يعزل ولا تكون له سلطة مباشرة كما مر في ذكر الرواية.

الثالثة: سلوك مسلك الإعلان والكشف عن حالة الجبر والإكراه، ولم يترك هذا الأمر طيّ الكتمان، كما تنص على ذلك عدة روايات:

عليّ عن أبيه، عن ياسر، قال: لما ولّيَ الرضا عليه السلام العهد. سمعته وقد رفع يديه إلى السماء، وقال: «**اللهم إنك تعلم أني مكره مضطر، فلا تؤاخذني كما لم تؤاخذ عبدك ونبيك يوسف حين وقع إلى ولاية مصر**»[1].

الدقاق، عن الأسدي، عن البرمكي، عن محمد بن عرفه، قال: قلت للرضا عليه السلام: يا ابن رسول الله ما حملك على الدخول في ولاية العهد؟

فقال: «**ما حمل جدّي أمير المؤمنين عليه السلام على الدخول في الشورى**»[2].

الورّاق، عن عليّ، عن أبيه، عن الهروي، قال: والله ما دخل الرضا عليه السلام في هذا الأمر طائعاً، وقد حمل إلى الكوفة ثم أشخص منها على طريق البصرة وفارس إلى مرو[3].

رابعاً: تطويق الإمام الرضا عليه السلام

وذلك: بحكم إرتباط الإمام الرضا عليه السلام بمساحة إجتماعية واسعة فإن إقحامه في مسؤوليات الحكم، يطوق نشاطه من ناحية، ويعزله عن وقواعده الشعبية من ناحية

(١) بحار الأنوار ٤٩ / ١٣٠.

(٢) بحار الأنوار ٤٩ / ١٤٠، عيون أخبار الرضا ٢ / ١٤١.

(٣) نفس المصدر السابق.

أخرى، ويضعه تحت رقابة دائمة من ناحية ثالثة.

ونستطيع أن نقول: إن ولاية العهد كانت عملية تطويق للإمام الرضا عليه السلام ولكن ليس تطويقاً في غياهب السجن كما صنع بأبيه موسى بن جعفر عليه السلام بل هي تطويق في نطاق البلاط العباسي، الذي حجب الإمام عليه السلام عن الإتصال والإرتباط الحر المباشر بقواعده الشعبية، وجعله مرصوداً في كافة تحركاته ونشاطاته، كما يروى:

«كان هشام بن إبراهيم الراشدي الهمداني من أخص الناس عند الرضا عليه السلام من قبل أن يحمل، وكان عالماً أديباً لبيباً، وكانت أمور الرضا عليه السلام تجري من عنده وعلى يده، ويصيّر الأموال من النواحي كلها إليه، قبل حمل أبي الحسن عليه السلام، فلما حمل أبو الحسن عليه السلام إتصل هشام بن إبراهيم بذي الرئاستين – أي الفضل بن سهل – فقربه ذو الرئاستين وأدناه، فكان ينقل أخبار الرضا عليه السلام إلى ذي الرئاستين والمأمون.

فحظي بذلك عندهما، وكان لا يخفى عليهما من أخباره شيئاً، فولاّه المأمون حجابة الرضا عليه السلام وكان لا يصل إلى الرضا عليه السلام إلا من أحب، فضيّق على الرضا عليه السلام فكان من يقصده من مواليه لا يصل إليه، وكان لا يتكلم الرضا عليه السلام في داره بشيء إلا أورده هشام على المأمون وذي الرئاستين. وجعل المأمون العباسي إبنه في حجر هشام وقال: أدبه، فسمي هشام العباسي»[1].

تجربة دالة

ولو تجردنا عن هذه الإستنتاجات الدالة على وجود مثل هذه المرامي في نفس المأمون ونظرنا إلى تجربة أو أكثر من تجربة كانت كافية للكشف عما يدور في نفس المأمون تجاه الإمام الرضا عليه السلام.

---

(١) بحار الأنوار ٤٩ / ١٣٩.

وذلك أن أي حركة أو موقف من الإمام الرضا عليه السلام يدعو إلى إلتحام الأمة به، كانت تلفت نظر المأمون، وتجعله في غاية الحذر من هذا الإلتحام والتعاطف الجماهيري مع الإمام عليه السلام.

وتجربة صلاة العيد خير شاهد على ذلك، وذلك:

لما حضر العيد بعث المأمون إلى الرضا عليه السلام يسأله أن يركب على هذه الدولة المباركة، فبعث إليه الرضا عليه السلام وقال:

«وقد علمت ما كان بيني وبينك من الشروط في دخولي في هذا الأمر».

فقال المأمون: إنما أريد بهذا أن يرسخ في قلوب العامة والجند والشاكرية هذا الأمر فتطمئن قلوبهم، ويقروا بما فضلك الله تعالى به، فلم يزل يرادده الكلام في ذلك.

فلما ألح عليه قال: «**يا أمير المؤمنين إن أعفيتني من ذلك فهو أحب إلي، وإن لم تعفني خرجت كما كان يخرج رسول الله صلى الله عليه وآله، وكما خرج أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام**».

قال المأمون: أخرج كما تحب، وأمر المأمون القواد والناس أن يبكروا إلى باب أبي الحسن عليه السلام فقعد الناس لأبي الحسن عليه السلام في الطرقات والسطوح من الرجال والنساء والصبيان، واجتمع القُواد على باب الرضا عليه السلام.

فلما طلعت الشمس قام الرضا عليه السلام فاغتسل وتعمم بعمامة بيضاء من قطن، وألقى طرفاً منها على صدره، وطرفاً بين كتفيه وتشمر ثم قال لجميع مواليه إفعلوا مثل ما فعلت، ثم أخذ بيده عكازة وخرج ونحن بين يديه وهو حافٍ قد شمّر سراويله إلى نصف الساق، وعليه ثياب مشمرة.

فلما قام ومشينا بين يديه، رفع رأسه إلى السماء وكبّر أربع تكبيرات فخيل إلينا أن الهواء والحيطان تجاوبه، والقواد والناس على الباب قد تزينوا ولبسوا السلاح وتهيؤوا

بأحسن هيئة، فلما طلعنا عليهم بهذه الصورة حفاة قد تشمرنا وطلع الرضا ووقف وقفة على الباب وقال:

«**الله أكبر الله أكبر الله أكبر على ما هدانا الله أكبر على ما رزقنا من بهيمة الأنعام، والحمد لله على ما أبلانا**»، ورفع بذلك صوته، ورفعنا أصواتنا، فتزعزعت مرو من البكاء والصياح، فقالها ثلاث مرات فسقط القواد عن دوابهم ورموا بخفافهم لما نظروا إلى أبي الحسن عليه السلام وصارت مرو ضجة واحدة ولم يتمالك الناس من البكاء والضجة.

فكان أبو الحسن يمشي ويقف في عشرة خطوات وقفة يكبّر الله أربع مرات، فيتخيل إلينا أن السماء والأرض والحيطان تجاوبه، وبلغ المأمون ذلك.

فقال له الفضل بن سهل ذو الرئاستين: يا أمير المؤمنين إن بلغ الرضا المصلى على هذا السبيل أفتتن به الناس، فالرأي أن تسأله أن يرجع، فبعث إليه المأمون فسأله الرجوع، فدعا أبو الحسن بخفه فلبسه ورجع[1].

وتجربة أخرى تعكس ملامح هذه النوايا والأغراض، مما تلقته الأسماع ونقلته الألسن في بقاع الأصقاع، إن الخليفة المأمون وجد في يوم عيد إنحراف مزاج أحدث عنده ثقلاً عن الخروج إلى الصلاة بالناس، فقال لأبي الحسن عليّ الرضا عليه السلام: يا أبا الحسن قم وصل بالناس، فخرج الرضا عليه السلام وعليه قميص قصير أبيض، وعمامة بيضاء نظيفة وهما من قطن، وفي يده قضيب، فأقبل ماشياً يؤم المصلى وهو يقول:

«**السلام على أبويّ آدم ونوح، السلام على أبويّ إبراهيم وإسماعيل، السلام على أبويّ محمد وعليّ، السلام على عباد الله الصالحين**»، فلما رآه الناس هرعوا إليه، وانثالوا عليه لتقبيل يديه.

فأسرع بعض الحاشية إلى الخليفة المأمون، فقالوا: يا أمير المؤمنين تدارك الناس

(١) بحار الأنوار ٤٩ / ١٣٤ – ١٣٥، عن عيون أخبار الرضا.

واخرج صلّ بهم، وإلّا خرجت الخلافة منك الآن، فحمله على أن خرج بنفسه وجاء مسرعاً والرضا عليه السلام بعد من كثرة الزحام عليه لم يخلص إلى المصلى، فتقدم المأمون وصلّى بالناس[1].

فيا ترى ألم يتبادر إلى الأذهان سؤال من خلال هذه المواقف وشبهها، ويفرض نفسه على الساحة وهو: هل يعقل أن إماماً ينصّب وليّ عهد لخليفة إمتدت له الأمور، ومهدت له السبل يحكم الناس بالخيل والخول، فيحرم وليّ العهد من ممارسة أبسط الحقوق والنشاطات، وهي إمامة الجماعة في الصلاة؟!

وكيف يخلص لك ويصدق معك من يخافك ويحذر منك؟! إن هذا مما لا يقره العقل والمنطق، وهناك فرق بيّن في منطق العقل بين من يخافك ويحذر منك، وبيْن من يهابك ويحترمك فالأول سريع البطش بك، والثاني يلتحم قلبه بقلبك ويجلّك ويذوب فيك إجلالاً وإكباراً.

(١) كشف الغمة للأربلي ٣ / ٨٧.

من التطويق إلى المأساة

وينتهي هذا التطويق والحرمان إلى مأساة كبرى تُفاجيء الأمة وتفجع البيت العلوي، وهي إغتيال الإمام الرضا عليه السلام بطريقة أو بأخرى، تخلصاً من خطره، ومنعاً من وصول الخلافة إلى أولاد عليّ بن أبي طالب عليه السلام وإرضاءاً للعائلة العباسية وكسباً لهم بعد القطيعة الطويلة، وكان ذلك سنة ٢٠٣ هـ. وقد إختلفت – أيضاً – الآراء، وتعددت وجهات النظر في كيفية وفاة الإمام الرضا عليه السلام هل كانت وفاةً عاديةً أم بتدبير وتخطيط للقضاء عليه؟، وإذا كانت بتدبير وتخطيط فمن هو المباشر لتنفيذ هذا التخطيط؟. إفترق المؤرخون على ثلاثة أنحاء:

الأول: هناك من ينحو إلى إبعاد المأمون تماماً عن كل ما يشار إليه من تخطيط وتدبير لإغتيال الإمام الرضا عليه السلام ويبرىء ساحته من هذا الإتهام.

قال إبن كثير: في سنة ٢٠٣هـ وصل المأمون إلى العراق ومر بطوس فنزل بها وأقام عند قبر أبيه أياماً من شهر صفر، فلما كان في آخر الشهر أكل عليّ بن موسى عنباً فمات فجأة، فصلى عليه المأمون ودفنه إلى جانب أبيه الرشيد وأسف عليه أسفاً كثيراً[1].

وقال إبن خلدون في تأريخه: ولما نزل المأمون مدينة طوس مات عليّ الرضا فجأة آخر صفر من سنة ثلاث ومائتين من عنب أكله[2].

---

(١) تأريخ إبن كثير: ص٢٤٩.

(٢) تأريخ إبن خلدون: ٣ / ٢٥٠.

وقال إبن الأثير في الكامل: أكل عنباً فأكثر منه فمات[١].

وقال أحمد أمين: وأغلب ظني أن المأمون كان مخلصاً في عمله صادقاً في تصرفه، وقد زوّج المأمون عليّاً الرضا هذا بنته وزوّج محمد بن عليّ بنته الأخرى، ولكن شاء القدر أن يموت عليّ الرضا سريعاً بعد أن ولّاه المأمون عهده، وبعد أن مرض أياماً ثلاثة فادعوا أن المأمون سمّه لثورة بغداد وما أكثر إدعاء الشيعة بسمّ أئمتهم، وهذا بعيد لأن المؤرخين يروون حزن المأمون الشديد عليه كما يروون أن المأمون بعد موته وبعد إنتقاله إلى بغداد ظل يلبس الخضرة[٢].

وقال إبن الجوزي: وزعم قوم أن المأمون سمه، وليس بصحيح فإنه لما مات عليّ توجع له المأمون وأظهر الحزن عليه وبقي أياماً لا يأكل طعاماً ولا يشرب شراباً وهجر اللذات[٣].

وفي كشف الغمة: قال العبد الفقير إلى الله تعالى عبد الله علي بن عيسى جامع هذا الكتاب أثابه الله تعالى: بلغني ممّن أثق به أن السيد رضي الدين علي بن الطاووس كان لا يوافق على أن المأمون سقى عليّاً عليه السلام ولا يعتقده، وكان رحمه الله كثير المطالعة والتنقيب والتفتيش عن مثل ذلك، والذي كان يظهر من المأمون من حنوّه عليه وميله إليه وإختياره له دون أهله وأولاده ما يؤيد ذلك ويقرره[٤].

وقال د. أحمد محمود صبحي في نظرية الإمامة: إن قضية مسموميّة الرضا عليه السلام هي من مختلقات الشيعة الذين لم يجدوا تناقضاً بين الحظوة التي كان ينالها من المأمون، ثم مبايعته له بولاية العهد وتزويجه أخته وبين أن يدس له المأمون السم في العنب ثم يصلي

(١) الكامل لإبن الأثير ٥ / ١٥٠، وذكره الطبري ١١ / ١٠٣٠.
(٢) ضحى الإسلام ٣ / ٢٩٥.
(٣) تذكرة الخواص: ص٣٥٥.
(٤) كشف الغمة ٣ / ١١١ – ١١٢.

عليه ويدفنه بجوار قبر أبيه الرشيد[١].

وقال الدكتور أحمد رفاعي: في أثناء سفر الخليفة إلى بغداد نزل بطوس في فصال الخريف وهناك مات الرضا فجأة، وقيل: إن موته كان بسبب إفراطه في أكله عنب، فدفنه المأمون بجوار قبر أبيه، فاهتزت الدولة لموته الفجائي، الذي جاء عقب مقتل الفضل، وأنه لمن المعقول في مثل هذه الأحوال أن تنتشر الإشاعات، وتكثر الأراجيف في سبب موته، كما أن من المعقول أيضاً في مثل هذه الأحوال أن يصعب الوقوف على الحقيقة، لتضارب الإشاعات وتناقض الأراجيف، وإختلاف وجهات النظر وقد قيل، فيما قيل: إن المأمون دسّ له السم في العنب[٢].

إذن: كل ما في الأمر عند هؤلاء، تارة: أن الإمام الرضا عليه السلام أفرط في أكل العنب وكان سبباً لوفاته، ولا نلوم أمثال هؤلاء، فإن قصور النظر عن مكانة الإمام ومنزلته يدعو إلى هذا القول، وكأن الإمام عندهم لا يملك رشداً ولا صواباً، وينزّل منزلة البشر الطامع الشره الذي همّه بطنه. لكن الإمام أرفع من أن يطمع في إملاء بطنه، كيف وهو من أهل البيت الذين كان مبدؤهم في الحياة قول النبي صلى الله عليه وآله: «**نحن قوم لا نأكل حتّى نجوع . وإذا أكلنا لا نشبع**»[٣] ، وقد عبر عن هذا المعنى بعض الحكماء بقولهم: «نحن قوم نأكل لنعيش لا نعيش لنأكل»، بل عندهم ومنهم نستلهم الآداب وكافة القواعد الصحية وقوانينها.

وتارة يعتبر هؤلاء أن مسمومية الإمام الرضا عليه السلام من مختلقات الشيعة، لأنهم يكرهون المأمون، ولا يؤمنون بإستحالة إجتماع النقيضين، وكان حنوّ المأمون وإحترامه ومنحه ولاية العهد للإمام الرضا عليه السلام وتزويجه يناقض هذه التهمة عقلاً، وكأن هذه

(١) نظرية الإمامة: ص٣٨٧.

(٢) عصر المأمون: ص٢٦٧ – ٢٦٨.

(٣) سنن النبي صلى الله عليه وآله : السيد الطباطبائي – ص١٨١.

التهمة الموجهة إلى المأمون، كانت إفرازاً طبيعياً لتلك الأحوال والظروف، وكانت أراجيف وإشاعات، يعتبر ظهورها طبيعياً من خلال تلك الظروف والأحوال، حتى كان من الصعب عندهم – في مثل هكذا ظرف – أن يقف الباحث على الحقيقة لماذا؟ لا ندري !.

الثاني: هناك من ينحو إلى الشك والإرتياب فقط في موقف المأمون، وإن كان يقطع أن الإمام عليه السلام مات مسموماً ولكنه لا يقطع أن المأمون هو الذي سمّه مباشرة، بل يذهب قسم منهم إلى أن عملية السم قام بها العباسيون بالتحديد، كما جاء في كتاب روح الإسلام للسيد أمير علي، حيث نقل عنه أحمد أمين قائلاً: وإن كان حقاً قد سم يكون قد سمه أحد غير المأمون من دعاة البيت العباسي[1].

وهناك من يورد خبر وفاته عليه السلام بـ «قيل: أنه دُس إليه السم في عنب» دون الإشارة إلى مصدر المؤامرة، ومنهم اليعقوبي في تأريخه حيث قال: وقيل إنه مات مسموماً[2].

وهذا الفريق يقلل تماماً من شأن التهمة، لأنه معجب بشخصية المأمون، شخصية سياسية مرموقة تتمتع بالعلم والرحابة، والحب للعلماء والزهاد، وخصوصاً لمثل الإمام الرضا عليه السلام الذي كان يتمتع بالنزاهة الخلقية والترفع عن الدنيا، ومثل هذا الفريق لا يستبعد كون الوفاة غير طبيعية وذلك للظروف والأحوال المرتبكة التي قد تجر إلى هذا الإستنتاج، ولا يستبعد كون الوفاة طبيعية إستناداً إلى سلوك وسيرة المأمون في إحترامه وإجلاله للإمام الرضا عليه السلام.

الثالث: هناك من ينحو إلى الإستنتاج القاطع من خلال بعض الظروف والملابسات التي كانت تحيط الخلافة العباسية في عصر المأمون كما مر بيانه، ومن خلال بعض القرائن

(١) ضحى الإسلام: ٣/ ٢٩٥.
(٢) تأريخ اليعقوبي: ٣/ ٨٠.

التي تؤيد أن المأمون بايع الإمام الرضا عليه السلام بولاية العهد بيعة وقتية، وحتمتها أسبابها الخاصة، وهو يعلم أن هذا الأمر لا يتم له – ولا يجب أن يتم له – فكان يخطط للتخلص من الإمام الرضا عليه السلام وتفادي خطره.

وقد ذهب إلى هذا الإستنتاج القاطع فريق كبير من المؤرخين من أهل السنة والإمامية، وقد نقل الكاتب جعفر مرتضى في كتابه (حياة الإمام الرضا عليه السلام) عدة من المصادر على نحو الإشارة بالصحيفة، ممن قطعوا بهذا الإستنتاج:

إبن حجر في صواعقه ص١٢٢، وإبن الصباغ المالكي في الفصول المهمة ص٢٥٠، والمسعودي في إثبات الوصية ص٢٠٨، وفي التنبيه والإشراف ص٢٠٣، ومروج الذهب ج٣ ص٤١٧، وإن كان في مكان آخر من مروجه قد حكى ذلك بلفظ: (قيل...)، والقلقشندي في مآثر الأناقة في معالم الخلافة ج١ ص٢١٨، والقندوزي الحنفي في ينابيع المودة ص ٢٦٣ وغيرها.

وعرض المؤلف بعض العبارات عن بعض المصادر، كما عن: جرجي زيدان في تأريخ التمدن الإسلامي المجلد الثاني ج٤ ص٤٤، قال: «وفكّر في بيعة علي الرضا، فأعظم أن يرجع عنها وخاف إذا رجع أن يثور عليه أهل خراسان فيقتلونه، فعمد إلى سياسة الفتك فدسّ إليه من أطعمه عنباً مسموماً فمات»، وذكر ذلك أيضاً في آخر صفحة من كتابه (الأمين والمأمون).

وأبو بكر الخوارزمي يقول في رسالته: «وسمّ عليّ بن موسى الرضا بيد المأمون».

وأحمد شلبي في (التأريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية) ج٣ ص١٠٧ يقول: إن ثورة بغداد قد أرغمت المأمون على التخلص من الرضا وخلع الخضرة، ألخ...

وأبو الفرج الأصفهاني يقول في مقاتل الطالبيين: وكان المأمون عقد له على العهد من بعده ثم دس إليه – فيما ذكر – بعد ذلك سماً فمات.

وذكر إستشهاده أيضاً أبو زكريا الموصلي في تأريخ الموصل ص١٧١ – ٣٥٢، وإبن طبابا في (الآداب السلطانية) ص٢١٨، والشبلنجي في نور الأبصار ص١٧٦ – ١٧٧ طبع سنة ١٩٤٨ يروي ذلك أيضاً [١].

(١) حياة الإمام الرضا عليه السلام: ص٤٢٣ – ٤٢٤.

قرائن ودلالات

وبما أن أصحاب هذا الإستنتاج، يوجهون أصابع الإتهام في حادثة الإغتيال إلى المأمون ذاته، مما يدل على الإمعان منهم في ظروف الحادثة، والتدقيق والتحليل الموضوعي للموقف، فإن هناك ما يساعدهم ويؤيد إستنتاجهم من القرائن والدلالات، التي تغافل عنها وتناساها الآخرون إحتراماً وإجلالاً منهم للخليفة المأمون، وإعجاباً بما كان عليه من حب لأهل الفضل والعلم، ومن هذه القرائن:

١ – شهادات بندم المأمون

رغم ما كان يتظاهر به المأمون من حب وولاء وإحترام للإمام الرضا عليه السلام ومن إعتراف بفضله وقدره وعلمه، ولكن هناك بوادر وملامح تكشف عن حقده وحسده وندمه على هذه البيعة، كما شهد الرواة.

وهذه هي طبيعة الموقف، إذ لا يمكن أن يتجرد الإنسان – خصوصاً كالمأمون في موقعه – عن أنانيته وحبه لذاته ولا يمكن أن يتنازل عن مصالحه في حالة التعارض بينها وبين أمر الله عزّ وجل ما لم يكن في أصل تربيته مؤثراً لأمر ربه وآخرته.

وهل يعقل أن المأمون تحول إلى إنسان ملائكي في حبه وتشيعه للإمام الرضا عليه السلام؟ وكيف يكون من السهل عليه التنازل والتضحية بجاهه وذاته ومصالحه، وهو يرى نجم الإمام عليه السلام يتصاعد ويزداد سطوعاً ووهجاً في قلوب الناس من شتى الأديان والطوائف، وذلك لفطنته وعلمه وذكائه وقوة حجته بشكل لم يعرف الإعياء والكلل،

ولا الضعف ولا التردد أمام أي مسألة أو حجة في أي باب من أبواب العلوم والمعارف.

كما ورد من تحقق الإمام عليه السلام نفسه بتلك النتيجة، في كلامه للنوفلي:

«يا نوفلي أتحب أن تعلم متى يندم المأمون»؟ قلت: نعم، قال: «**إذا سمع إحتجاجي على أهل التوراة بتوراتهم وعلى أهل الإنجيل بإنجيلهم وعلى أهل الزبور بزبورهم، وعلى الصابئين بعبرانيتهم، وعلى أهل الهرابذة بفارسيتهم، وعلى أهل الروم برروميتهم، وعلى أصحاب المقالات بلغاتهم، فإذا قطعت كل صنف ودحضت حجته، وترك مقالته ورجع إليّ قولي، علم المأمون أن الموضع الذي هو بسبيله ليس بمستحق له، فعند ذلك تكون الندامة منه ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم**»[1].

وعن أحمد بن عليّ الأنصاري، قال: سألت أبا الصلت الهروي فقلت: كيف طابت نفس المأمون بقتل الرضا عليه السلام مع إكرامه ومحبته له، وما جعل له من ولاية العهد بعده؟

فقال: إن المأمون إنما كان يكرمه ويحبه لمعرفته بفضله، وجعل له ولاية العهد من بعده ليرى الناس أنه راغب في الدنيا فيسقط محله من نفوسهم، فلما لم يظهر منه في ذلك الناس إلا ما إزداد به فضلاً عندهم ومحلاً في نفوسهم، جلب عليه المتكلمين من البلدان طمعاً في أن يقطعه واحد منهم فيسقط محله عند العلماء وبسببهم يشتهر نقصه عند العامة.

فكان لا يكلمه خصم من اليهود والنصارى والمجوس والصابئين والبراهمة والملحدين والدهرية، ولا خصم من فرق المسلمين المخالفين إلا قطعه وألزمه الحجة، وكان الناس يقولون: والله إنه أولى بالخلافة من المأمون، فكان أصحاب الأخبار يرفعون ذلك إليه فيغتاظ من ذلك ويشتد حسده، وكان الرضا عليه السلام لا يحابي المأمون وكان يجيبه بما يكره في أكثر أحواله فيغيظه ذلك ويحقده عليه ولا يظهره له، فلما أعيته الحيلة في أمره

(١) بحار الأنوار: ٤٩ / ١٧٤ – ١٧٥، وعيون أخبار الرضا: ٢ / ١٥٦.

إغتاله فقتله بالسم [١].

بل المأمون ذاته في موضع آخر يكشف عن خفايا نفسه وماذا يريد من وراء المناظرات العلمية، فإنه لا يريد إلّا أن يوقع الإمام عليه السلام في هوة فشل واحدة أمام المتكلمين والعلماء والفقهاء، غير أنه من أهل بيت زقوا العلم زقاً لم يحر جواباً عن أية مسألة من المسائل.

فقد قدم سليمان المروزي متكلم خراسان على المأمون، فأكرهه ووصله ثم قال له: إن ابن عمي علي بن موسى عليه السلام قدم عليَّ من الحجاز، وهو يحب الكلام وأصحابه فلا عليك أن تصير إلينا يوم التروية لمناظرته.

فقال سليمان: يا أمير المؤمنين أني أكره أن أسأل مثله في مجلسك في جماعة من بني هاشم فينتقص عند القوم إذا كلمني ولا يجوز الإستقصاء عليه.

قال المأمون: إنما وجهت إليك لمعرفتي بقوتك وليس مرادي إلّا أن تقطعه عن حجة واحدة فقط، فقال سليمان: حسبك يا أمير المؤمنين إجمع بينه وبيني وخلّني والذم[٢].

(١) بحار الأنوار ٤٩ / ٢٩٠.

(٢) بحار الأنوار: ٤٩ / ١٧٨.

٢ – ميول المأمون تجاه العائلة العباسية

كانت الإرهاصات الثورية العلوية من قبل قد قضت على المأمون بخطة البيعة للإمام الرضا عليه السلام بولاية العهد، وفرضت عليه نمطاً خاصاً من السياسة تجاه البيت العلوي وهي (سياسة الإحتواء) ثم بدأت الإرهاصات الثورية العباسية في بغداد تتسع ضد المأمون، فبدأت الميول تتجه إلى إحتواء الفتن العباسية التي بدأت بخلع المأمون وإستخلاف إبراهيم بن المهدي، والإنشقاق الواسع في الصف العباسي، وهو الأمر الذي كان يكتمه الفضل بن سهل عن المأمون لغرض أول لآخر.

إلا أن الإمام الرضا عليه السلام كان دائماً صريحاً في مواقفه مع المأمون، يسدي له النصح دائماً بالإنتقال إلى بغداد بدلاً من مرو إلقاءً للحجة عليه، لأنه عليه السلام الرجل الذي كان يرتفع عن الغش والحيلة، وهو الذي قال للمأمون:

«إن النصح واجب لك والغش لا ينبغي لمؤمن، إن العامة لتكره ما فعلتَ بي، والخاصة تكره ما فعلتَ بالفضل بن سهل، والرأي لك أن تبعدنا عنك حتى يصلح لك أمرك»[1].

وكان المأمون يدرك مدى خطورة الموقف، كانت هذه الأحوال والترددات تشغل تفكيره، لأنه إن بقي في مرو والحال هذه فإن الفتن تتسع رقعتها ضده، وإن إنتقل إلى بغداد مع بقاء ولاية العهد الممنوحة لعليّ بن موسى الرضا عليه السلام، فإنّ خلع الإمام الرضا عليه السلام من ولاية العهد – وإن كان الإمام عليه السلام يرحب بذلك – فهذا الموقف يعد خيانةً للعهد وإثارةً للبيت العلوي ضده.

---

(١) بحار الأنوار: / ١٧٨.

وفي هامش البحار ج٤٩ ص٢٩٠، عن تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي ص٢٠٠ قريب من هذا التعبير.

ويبقى على الباحث المتفحص لظروف الموقف أن يدقق في ما هو الحل الأمثل الذي يتخلص به المأمون من هذا المأزق، ويضمن فيه إرضاء العائلة العباسية، ويمنع وصول الخلافة إلى البيت العلوي، ويتفادى الخطر الحقيقي المحدق به.

وكيف يبتعد العاقل في مثل هكذا ظرف أن يكون الحل الأمثل أمام المأمون كامناً في تدبير وتخطيط مُحكم للتخلص من السبب الرئيسي لهذه الأحوال؟! وفعلاً وقع هذا التدبير الذي وضع المؤرخين أنفسهم – مع دقة تحقيقهم – في حيرة من الأمر.

٣ – إغتيال الفضل بن سهل سنة ٢٠٠ هـ

وهو حادث يكاد يجمع عليه المؤرخون والكتاب أنه من تدبير المأمون وتخطيطه، ولا يخفى ما للفضل من صلة ورابطة بأهل خراسان من ناحية، وكونه من ناحية أخرى شخصية هامة بالنسبة إلى المأمون، ولكن أدرك الأخير أن الفجوة التي خلقت بينه وبين العائلة العباسية كانت بسبب تقريبه ودفعه للبيعة للإمام الرضا عليه السلام بولاية العهد، فكان ذلك سبباً لتفاقم الحركات والنقمة ضد حكمه.

ويقطع الدكتور رفاعي في كتابه (عصر المأمون) بقوله: فأيقن المأمون أخيراً أن إستسلامه للفضل وإنقياده له كان سبباً لكل ما حدث من الفتن والثورات، وما كادوا يحلون بسرخس وهم في طريقهم إلى بغداد حتى وجدوا الفضل قتيلاً في حمّامه [1].

ومع ذلك فقد حاول المأمون التعتيم على سبب هذا الحدث، فأوعز بمكافأة مالية لمن يقبض على القتلة، وأرسل المأمون رسالة تعزية إلى أخيه الحسن بن سهل وهو يبدي فيها حزنه وأسفه على الفضل بن سهل، ووعده بأن يجعله وزيراً خلفاً له وعقد زواجه من إبنته بوران وعمرها آنذاك عشر سنوات، ولم يدخل بها إلّا بعد ثمان سنين.

---

(١) عصر المامون: ص ٢٦٧.

ويكشف لنا الفخري أكثر: بأنه لما قدّم القتلة ليضرب أعناقهم قالوا له: أنت أمرتنا بذلك وتقتلنا؟! فقال لهم: أنا أقتلكم بإقراركم وما إدعيتموه عليّ من أني أمرتكم بذلك، فدعوى ليس لها بينة [1].

فإذا كان الفضل بن سهل عقبةً ومصدراً لإثارة الفتن والإرتباك في مملكة المأمون في نظر المؤرخين والمحققين، فإن ولاية العهد للإمام الرضا عليه السلام هي المحور الذي تدور حوله هذه الفتن والثورات.

ولنا حينئذٍ أن نسأل هل أن خطر الفضل بن سهل أكبر من خطر الإمام الرضا عليه السلام والبيت العلوي حسب إحساس المأمون؟ ولماذا كان مقتل الفضل بن سهل وفق سياسة الفتك والتخطيط المدبر، في حين تتنزه ساحة المأمون عن الفتك بالإمام الرضا عليه السلام لا سيما وأن الدواعي واحدة؟

علماً بأن هناك دلائل تشير إلى أن التخطيط كان مدبراً لإغتيال الإمام الرضا عليه السلام بمعية الفضل بن سهل ولكن الإمام الرضا عليه السلام بذكائه وفطنته لم يدخل حمام سرخس في دار المأمون في ذلك اليوم، تلك الفطنة نبوءة الإمامة التي تلهم الإمام تصرفه وتجعله في نطاق الإختيار الإلهي لكيفية الموتة التي قدرت له، لا الموتة التي يريدها الناس كيف شاؤوا له، فإن الدلائل تشير بعد حديث طويل أن المأمون كتب إلى الرضا عليه السلام رقعة في ذلك – أي في شأن دخول حمام سرخس – وسأله، فكتب إليه أبو الحسن عليه السلام: «**لست بداخل غداً الحمام ولا أرى لك يا أمير المؤمنين أن تدخل الحمام غداً ولا أرى للفضل بن سهل أن يدخل الحمام غداً**».

فأعاد إليه الرقعة مرتين فكتب إليه أبو الحسن عليه السلام:

«**لست بداخل الحمام غداً، فإني رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله في النوم هذه الليلة يقول لي: يا**

(١) الآداب السلطانية: ص١٧٣.

عليّ لا تدخل الحمام غداً فلا أرى لك يا أمير المؤمنين ولا للفضل أن تدخلا الحمام غداً»، فكتب إليه المأمون: صدقت يا سيدي وصدق رسول الله لست بداخل غداً الحمام، وأما الفضل فهو أعلم بما يفعله [1].

٤ – عرضه على الإمام عليه السلام للمسير إلى بغداد

المأمون على يقين بالعداء الذين يحمله العباسيون للإمام الرضا عليه السلام وهو يعلم ما يصير إليه الإمام الرضا عليه السلام من مصير لو سنحت الفرصة لبني العباس بالإختلاء بالإمام عليه السلام.

ولذلك تجد المأمون يساوم الإمام الرضا عليه السلام على أن تكون له الخلافة ويرحل إلى بغداد ويبقى هو خليفته في خراسان لماذا؟ ليس هناك هدف سوى أن يكون الإمام عليه السلام وجهاً لوجه مع العباسيين.

وهل من السهل التنازل عن الخلافة في هذا الحال لولا أنه يعلم ما يصير إليه أمر الإمام عليه السلام بعد حين؟ وانظر إلى المأمون كيف يكشف عن هدف هذا الإقتراح بعد وفاة الإمام الرضا عليه السلام كما جاء عن محمد بن عبد الله الأفطش، قال: دخلت على المأمون فقربني وحياني ثم قال: رحم الله الرضا عليه السلام ما كان أعلمه؟ لقد أخبرني بعجب، سألته ليلة وقد بايع له الناس، فقلت: جعلت فداك أرى أن تمضي إلى العراق وأكون خليفتك في خراسان، فتبسم ثم قال:

«لا لعمري ولكنه من دون خراسان تدرجات، إن لنا هنا مكثاً، ولست ببارح حتى يأتيني الموت ومنها المحشر لا محالة».

---

(١) بحار الأنوار: ٤٩ / ١٦٨ –١٦٩ والرواية طويلة لمن شاء أن يراجع فقد أخذنا منها موضع الحاجة.

فقلت له: جعلت فداك وما علمك بذلك؟

فقال: «**علمي بمكاني كعلمي بمكانك**».

قلت: وأين مكاني أصلحك الله؟

فقال: «**لقد بعدت الشقة بيني وبينك أموت في المشرق وتموت بالمغرب**».

فقلت: صدقت، والله ورسوله أعلم وآل محمد، فجهدت الجهد كله وأطمعته في الخلافة وما سواها فما أطمعني في نفسه [١].

٥- الإرتباك والشعور بالندم

من خلال نظرة سطحية إلى تأثر المأمون وأسفه وحزنه العميق لوفاة الإمام الرضا عليه السلام، حسب المؤرخون هذا الأمر نابعاً من حبه وولائه للإمام عليه السلام خصوصاً بالنظر إلى ما ذكره اليعقوبي في تأريخه:

إن المأمون بقي ثلاثة أيام مقيماً عند قبر الإمام الرضا عليه السلام يؤتى كل يوم برغيف وملح فيأكله، ثم انصرف في اليوم الرابع [٢].

وما ذكره إبن الجوزي: فإنه لما مات عليّ توجع له المأمون وأظهر الحزن عليه وبقي أياماً لا يأكل طعاماً ولا يشرب شراباً وهجر اللذات [٣].

ولكن فاتهم أن من الطبيعي إذا ما كان الحدث الذي يحدثه الإنسان أمراً خطيراً له مردوده على علاقاته الإجتماعية، فسوف يكون لهذا الحدث أثره على النفس وعلى التصرف، فكيف ما لو كان الحدث ذا تأثير على مسيرة تأريخ سياسي شامل، كما حدث

---

(١) بحار الأنوار: ٤٩ / ١٤٥ وعن غيبة الشيخ الطوسي ص٥٢ – ٥٣.

(٢) تأريخ اليعقوبي: ٣ / ٨١.

(٣) تذكرة الخواص: ص ٣٥٥.

من أمر المأمون مع الإمام الرضا عليه السلام؟! أيريدون من المأمون أن يقف أمام الحدث موقف المرور المبتهج أو المتفرج على كل ما حدث؟

علماً بأن هذا الحزن نفسه أظهره على مقتل الفضل بن سهل مع قطع المؤرخين بأنه هو الذي خطط لقتله.

مضافاً إلى: أن هذا الحزن لم يكن يظهره على أبيه من قبل بل لم يقم على قبر أبيه ساعة، كما أقام على قبر الإمام الرضا عليه السلام.

ثم ليسأل المؤرخون أنفسهم، لماذا إلى جانب هذا الحزن على الإمام الرضا عليه السلام والأسف الظاهر من جانب المأمون، وبمجرد أن امتدت إليه أصابع الإتهام من بعض العلويين عمد إلى قتلهم؟!

كإبراهيم بن موسى الذي كان من قبل خرج على المأمون في اليمن وزيد بن موسى (زيد النار) الذي خرج عليه من قبل في البصرة وعفى عنه – لوجود الإمام الرضا عليه السلام – وأحمد بن موسى الذي خرج عليه من بغداد مع ثلاثة آلاف من العلويين، وهارون بن موسى الذي قصد خراسان بقافلة تضم إثنين وعشرين علوياً، وعلى رأس القافلة فاطمة أخت الإمام الرضا عليه السلام.

وآخر من يذكره المؤرخون من ضحايا المأمون حمزة بن موسى أخو الإمام عليه السلام حيث ذكروا أنه كان من جملة من قتلهم أتباع المأمون [1].

فهل هناك مؤشر لهذه العملية التصفوية للعلويين، غير أنه يريد أن يلحقهم بزعيمهم الذي كانوا تحت ظله، ويتفادى بذلك الأسباب الرئيسية التي تهدد الخلافة العباسية، وليصفو له جو العلاقة بينه وبين البيت العباسي؟

---

(١) حياة الإمام الرضا عليه السلام: ص٤٢٨ عن حياة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام ج٢ ص٤٠٨ للشيخ القرشي.

ثم ألم يكن بوسع المأمون لو كان بريئاً صادقاً مع البيت العلوي أن يجعل محمد الجواد عليه السلام ولياً لعهده بعد أبيه الرضا عليه السلام بدل هذه العملية التصفوية ضد العلويين؟! لا سيما مع إقراره وإعترافه له بالفضل والعلم والتقى ما يسمو به على أهل زمانه؟.

إذن: فلا يبقى أمامنا تفسير لظاهرة الحزن والأسف التي أبداها المأمون إلّا أحد أمرين، قد يكونان – مجتمعين – داعياً لهذه الظاهرة:

الأول: التظاهر بالحزن والأسف العميق لإمتصاص النقمة وتفادي خطر الإتهام الموجه إليه من المحيط الجماهيري المؤمن بالإمام الرضا عليه السلام وهو موقف أي مرتاب يحاول أن يدفع عن ساحته بوادر الشك والريب والتهمة.

فعن أبي الصلت الهروي أنه قال: لما دخل المأمون إلى الرضا يعوده، فوجده يجود بنفسه فبكى وقال: أعزز عليّ يا أخي بأن أعيش ليومك، فقد كان في بقائك أمل، وأغلظ عليَّ من ذلك وأشرر، إن الناس يقولون إني سقيتك سماً وأنا إلى الله من ذلك بريء، ثم خرج المأمون من عنده... الخ [1].

الثاني: الندم وثورة الضمير الذي يعتبر نتيجة لأي جريمة كهذه، وأي حدث يعاكس مسيرة الفطرة للإنسان والمأمون يواجه حدثاً يتجرعه ولا يكاد يسيغه، فيظهر ذلك الإرتباك والندم على تصرفه وفلتات لسانه.

فلقد ورد أن المأمون رمى بنفسه على الأرض وجعل يخور كما يخور الثور ويقول: ويلك يا مأمون ما حالك، وعلى ما أقدمت؟ لعن الله فلاناً وفلاناً فإنهما أشارا عليّ بما فعلت [2].

وهناك رواية طويلة في قصة وفاته عليه السلام إلى كيفية دفنه، قال فيها المأمون لهرثمة: يا هرثمة هل أسرَّ إليك – أي الإمام الرضا عليه السلام – شيئاً غير هذا؟ قال: نعم، قال: ما هو؟

(١) بحار الأنوار: ٤٩ / ٣١٠ وعن مقاتل الطالبيين ص٣٧١.

(٢) حياة الإمام الرضا عليه السلام: ص٣٩٨ عن إثبات الوصية للمسعودي: ص٢٠٩.

قلت: خبر العنب والرمان، قال: فأقبل المأمون يتلون ألواناً يصفرّ مرة، ويحمرّ أخرى، ويسود أخرى، ثم تمدد مغشياً عليه، فسمعته في غشيته وهو يهجر ويقول: ويل للمأمون من الله، ويل له من رسوله، ويل له من عليّ، ويل له من الحسن والحسين... إلخ [1].

٦ – أصداء الحدث على ألسنة الشعراء

من الأمور الدالة والقرائن اللائحة: عمق الأسى لهذا الحدث على ألسنة الشعراء والرثات، الذين لم يؤلوا جهداً في بث مشاعرهم الحزينة من أعماق صدورهم.

ومن الواضح أن الشاعر يتفرس في خصوصيات أي حدث يتفاعل مع أحاسيسه ومشاعره، فيختار له الكلمات ويضعها لمعانيها، ويصور الحدث تصويراً فنياً، ويضع اللمسات على أي خفية من خفاياه.

ولقد أخذ هذا الحدث مأخذه في نفوس الكثير من شعراء أهل البيت عليهم السلام ورثائهم، فكانوا يجسمون المأساة في محافل عديدة، حتى في مجالس أعدائهم، وفي مجلس المأمون نفسه، جسّم دعبل الخزاعي هذا الحدث مما جعل المأمون يتفاعل مع ما يقال بالأمر والإعتراف.

عن محمد بن يحيى بن أكثم، عن أبيه، قال: أقدم المأمون دعبل الخزاعي رحمه الله، وآمنه على نفسه، فلما مثل بين يديه، وكنت جالساً بين يديّ المأمون، فقال: أنشدني قصيدتك الكبيرة، فجحدها دعبل، وأنكر معرفتها، فقال له: لك الأمان عليها كما أمنتك على نفسك، فأنشده:

تأسفت جارتي لما رأت زوري ... وعدّت الحلْمَ ذنباً غير مغتفر
ترجو الصبى بعد ما شابت ذوائبها ... وقد جرت طلقا في حلبة الكبر
أجارتي إن شيب الرأس يعلمني ... ذكر المعاد وإرضائي عن القدر

(١) بحار الأنوار: ٤٩ / ٢٩٨.

لو كنت أركن للدنيا وزينتها إذا بكيت على الماضين من نفر
أخنى الزمان على أهلي فصدعهم تصدع الشعب لاقى صدمة الحجر
بعض أقام وبعض قد أصات بهم داعي المنية والباقي على الاثر
أما المقيم فأخشى أن يفارقني ولست أوبة من ولى بمنتظر
أصبحت أخبر عن أهلي وعن ولدي كحالم قص رؤيا بعد مدكر
لولا تشاغل عيني بالاولى سلفوا من أهل بيت رسول الله لم أقر
وفي مواليك للتحزين مشغلة من أن تبيت لمفقود على أثر
كم من ذراع لهم بالطف بائنة وعارض بصعيد الترب منعفر
أمسى الحسين و مسراهم بمقتله وهم يقولون هذا سيد البشر
يا أمة السوء ما جازيت أحمد في حسن البلاء على التنزيل و السور
خلفتموه على الأبناء حين مضى خلافة الذئب في إنقاذ ذي بقر

قال يحيى بن أكثم: و أنفذني المأمون في حاجة فعدت و قد انتهى دعبل إلى قوله:

لم يبق حي من الأحياء نعلمه من ذي يمان و لا بكر و لا مضر
إلا و هم شركاء في دمائهم كما تشارك أيسار على مضر
قتلا و أسرا و تخويفا و منهبة فعل الغزاة بأرض الروم و الخزر
أرى أمية معذورين إن قتلوا ولا أرى لبني الفتاح [1] من عذر
قوم قتلتم على الإسلام أولهم حتى إذا استمكنوا جازوا على الكفر
أبناء حرب و مروان و أسرتهم بنو معيط ولاة الحقد و الوغر

(١) – في بعض النسخ: ولا أرى لبني العباس من عذر، كما جاء في الغدير: ٢ / ٣٧٥ وفي أخبار شعراء الشيعة للمرزباني ص٩٤ وبإضافة:

قبران في طوس خير الناس كلهم وقبر شرهم هذا من العبر
ما ينفع الرجس من قبر الزكي ولا على الزكي بقبر الرجس من ضرر

أربع بطوس على قبر الزكي بها إن كنت تربع من دين على وطر
هيهات كل امرئ رهن بما كسبت له يداه فخذ ما شئت أو فذر

قال: فضرب المأمون بعمامته الأرض وقال صدقت والله يا دعبل[1].

وجاء في مقاتل الطالبيين، عن أبي الفرج الأصبهاني وفي أغانيه قال: أنشدني عليّ بن سليمان الأخفش لدعبل بن عليّ الخزاعي، يذكر الرضا عليه السلام والسم الذي سقيه ويرثي إبناً له وينعى على الخلفاء من بني العباس:

على الكره ما فارقت احمد وانطوى عليه بناء جندل ورزين
وأسكنته بيتاً خسيساً متاعه وإني على رغمي به لحنين
ولو لا التأسي بالنبي وأهله لأسبل من عيني عليه شؤون

إلى قوله:

ألّا أيها القبر الغريب محله بطوس عليك الساريات هتون
شككت فما أدري أمسقى بشربة فأبكيك أم ريب الردى فيهون
وأيهما ماقلت إن قلت شربة وإن قلت موت إنه لقمين
ايا عجباً منهم يسمونك الرضا يلقاك منهم كلحة وغضون
أتعجب للأجلاف أن يتخيفوا معالم دين الله وهو مبين
لقد سبقت فيهم بفضلك آية لدي ولكن ما هناك يقين[2]

ومنها قول أبي فراس:

باؤوا بقتل الرضا من بعد بيعته وأبصروابغضهمن رشدهم وعموا
عصابة شقيت من بعدما سعدت ومعشر هلكوا من بعدما سلموا

(١) بحار الأنوار ٤٩ / ٣٢٣ – ٣٢٤.
(٢) مقاتل الطالبيين: ص٣٧٢ – ٣٧٣.

لا بيعة ردعتهم عن دمائهم ولا يمين ولا قربى ولا رحم[١]

ومنها قول السوسي:

بأرض طوس نائي الأوطان إذ غرّه المأمون بالأماني

حين سقاه السم في الرمانِ[٢]

والقاضي التنوخي أيضاً يقول:

ومأمونكم سم الرضا بعد بيعة فآدت له شم الجبال الرواسب[٣]

وهكذا يتفاعل صدى هذا الحدث في مشاعر الشعراء والأدباء في التأريخ أحزاناً، كما تفاعل من قبل حدث البيعة بولاية العهد إفتخاراً وإبتهاجاً، ومدحاً للمقام الذي عليه الإمام الرضا عليه السلام والذي جمع بين السلطة السياسية وهيبة الإمام الفذّة الممنوحة من الله عزّ وجل، وبالرغم من مشاعر الفخر والإعتزاز التي يبديها بعض الشعراء بهذا المقام، نجد لمشاعر الحزن والأسى لما وقع ولما سيقع مضموناً واضحاً في مشاعرهم فيمتزج الحزن والأسى مع الكلمات والعبارات التي تنفثها صدورهم، ومن هؤلاء الذين واكبوا الإمام الرضا عليه السلام خلال ولاية العهد، دعبل بن عليّ الخزاعي المؤمن بأهل البيت عليهم السلام والذي عبّر في قصيدته المشهورة عن أدق مشاعر نفسه المتعلقة بحب آل محمد صلى الله عليه وآله بأوفى وأتم تعبير، ولقدر تلك القصيدة وسمو مضامينها وصدق المشاعر فيها، نرى أن نختم بها حديثنا عن (ولاية عهد المأمون للإمام الرضا عليه السلام).

فقد جاء عن أبي الصلت الهروي قال: دخل دعبل بن عليّ الخزاعي على الرضا عليه السلام بمرو، فقال له: يا ابن رسول الله إني قد قلت فيكم قصيدة وآليت على نفسي أن لا أنشدها أحداً قبلك، فقال الرضا عليه السلام **هاتها**، فأنشد يقول:

---

(١) بحار الأنوار: ٤٩ / ٣١٤.

(٢) حياة الإمام الرضا عليه السلام: ص٤٢٩ عن المناقب: ١ / ٣٧٤.

(٣) نفس المصدر السابق.

تجاوبن بالأرنان والزفرات نوائح عجم اللفظ والنطقات
يخبرن بالأنفاس عن سر أنفس أسارى هوى ماض وآخر آت
فأسعدن أو أسعفن حتى تقوضت صفوف الدجا بالفجر منهزمات
على العرصات الخاليات من المها سلام شج صب على العرصات
فعهدي بها خضر المعاهد مألفا من العطرات البيض والخفرات
ليالي يعدين الوصال على القلا ويعدى تدانينا على الغربات
وإذ هن يلحظن العيون سوافرا ويسترن بالأيدي على الوجنات
وإذ كل يوم لي بلحظي نشوة يبيت بها قلبي على نشوات
فكم حسرات هاجها بمحسر وقوفي يوم الجمع من عرفات
ألم تر للأيام ما جر جورها على الناس من نقص وطول شتات
ومن دول المستهزئين ومن غدا بهم طالبا للنور في الظلمات
فكيف ومن أنى بطالب زلفة إلى الله بعد الصوم والصلوات
سواحب أبناء النبي ورهطه وبغض بني الزرقاء والعبلات
وهند وما أدت سمية وابنها أولوا الكفر في الاسلام والفجرات
هم نقضوا عهد الكتاب وفرضه ومحكمه بالزور والشبهات
ولم تك إلا محنة قد كشفتهم بدعوى ظلال من هن وهنات
تراث بلا قربى وملك بلا هدى وحكم بلا شورى بغير هداة
رزايا أرتنا خضرة الأفق حمرة وردت أجاجا طعم كل فرات
وما سهلت تلك المذاهب فيهم على الناس إلا بيعة الفلتات
وما قيل أصحاب السقيفة جهرة بدعوى تراث في الضلال نتات
ولو قلدوا الموصى إليه أمورها لزمت بمأمون عن العثرات

أخي خاتم الرسل المصفى من القذى ومفترس الأبطال في الغمرات
فإن جحدوا كان الغدير شهيده وبدر واحد شامخ الهضبات
وآي من القرآن تتلى بفضله وإيثاره بالقوت في اللزبات
وعز خلال أدركته بسبقها مناقب كانت فيه مؤتفكات
مناقب لم تدرك بخير ولم تنل بشئ سوى حد القنا الذربات
نجي لجبريل الامين وأنتم عكوف على العزى معا ومنات

***

بكيت لرسم الدار من عرفات وأذريت دمع العين بالعبرات
وبان عرى صبري وهاجت صبابتي رسوم ديار قد عفت وعرات
مدارس آيات خلت من تلاوة ومنزل وحي مقفر العرصات
لآل رسول الله بالخيف من منى وبالبيت والتعريف والجمرات
ديار لعبد الله بالخيف من منى وللسيد الداعي إلى الصلوات
ديار علي والحسين وجعفر وحمزة والسجاد ذي الثفنات
ديار لعبد الله والفضل صنوه نجي رسول الله في الخلوات
وسبطي رسول الله وابني وصيه ووارث علم الله والحسنات
منازل وحي الله ينزل بينها على أحمد المذكور في الصلوات
منازل قوم يهتدى بهداهم فيؤمن منهم زلة العثرات
منازل كانت للصلاة وللتقى وللصوم والتطهير والحسنات
منازل لا تيم يحل بربعها ولا ابن صهاك فاتك الحرمات
ديار عفاها جور كل منابذ ولم تعف للايام والسنوات
قفا نسأل الدار التي خف أهلها متى عهدها بالصوم والصلوات

وأين الاولى شطت بهم غربة النوى ... أفانين في الاقطار مفترقات
هم أهل ميراث النبي إذا اعتزوا ... وهم خير سادات وخير حماة
إذا لم ناج الله في صلواتنا ... بأسمائهم لم يقبل الصلوات
مطاعيم للاعسار في كل مشهد ... لقد شرفوا بالفضل والبركات
وما الناس إلا غاصب ومكذب ... ومضطغن ذو إحنة وترات
إذا ذكروا قتلى ببدر وخيبر ... ويوم حنين أسبلوا العبرات
فكيف يحبون النبي ورهطه ... وهم تركوا أحشاءهم وغرات
لقد لاينوه في المقال وأضمروا ... قلوبا على الاحقاد منطويات
فان لم يكن إلا بقربي محمد ... فهاشم أولى من هن وهنات
سقى الله قبرا بالمدينة غيثه ... فقد حل فيه الامن بالبركات
نبي الهدى صلى عليه مليكه ... وبلغ عنا روحه التحفات
وصلى عليه الله ما ذر شارق ... ولاحت نجوم الليل مبتدرات
أفاطم لو خلت الحسين مجدلا ... وقد مات عطشانا بشط فرات
إذا للطمت الخد فاطم عنده ... وأجريت دمع العين في الوجنات
أفاطم قومي يا ابنة الخير واندبي ... نجوم سماوات بأرض فلات
قبور بكوفان واخرى بطيبة ... واخرى بفخ نالها صلواتي
واخرى بأرض الجوزجان محلها ... وقبر بباخمرى لدى الغربات
وقبر ببغداد لنفس زكية ... تضمنها الرحمن في الغرفات
وقبر بطوس يا لها من مصيبة ... ألحت على الاحشاء بالزفرات
إلى الحشر حتى يبعث الله قائما ... يفرج عنا الغم والكربات
علي بن موسى أرشد الله أمره ... وصلى عليه أفضل الصلوات

فأما الممضات التي لست بالغا ... مبالغها منى بكنه صفات
قبور ببطن النهر من جنب كربلا ... معرسهم منها بشط فرات
توفوا عطاشا بالفرات فليتني ... توفيت فيهم قبل حين وفاتي
إلى الله أشكو لوعة عند ذكرهم ... سقتني بكأس الثكل والفظعات
أخاف بأن ازدارهم فتشوقني ... مصارعهم بالجزع فالنخلات
تغشاهم ريب المنون فما ترى ... لهم عقرة مغشية الحجرات
خلا أن منهم بالمدينة عصبة ... مدينين أنضاء من اللزبات
قليلة زوار سوى أن زورا ... من الضبع والعقبان والرخمات
لهم كل يوم تربة بمضاجع ... ثوت في نواحي الارض مفترقات
تنكبت لاواء السنين جوارهم ... ولا تصطليهم جمرة الجمرات
وقد كان منهم بالحجاز وأرضها ... مغاوير نجارون في الازمات
حمى لم تزره المذنبات وأوجه ... تضئ لدى الاستار والظلمات
إذا وردوا خيلا بسمر من القنا ... مساعير حرب أقحموا الغمرات
فان فخروا يوما أتوا بمحمد ... وجبريل والفرقان والسورات
وعدوا عليا ذا المناقب والعلى ... وفاطمة الزهراء خير بنات
وحمزة والعباس ذا الهدي والتقى ... وجعفرا الطيار في الحجبات
اولئك لا ملقوح هند وحزبها ... سمية من نوكى ومن قذرات
ستسأل تيم عنهم وعديها ... وبيعتهم من أفجر الفجرات
هم منعوا الآباء عن أخذ حقهم ... وهم تركوا الابناء رهن شتات
وهم عدلوها عن وصي محمد ... فبيعتهم جاءت عن الغدرات
وليهم صنو النبي محمد ... أبو الحسن الفراج للغمرات

ملامك في آل النبي فانهم ... أحباي ما داموا وأهل ثقاتي
تخيرتهم رشدا لنفسي إنهم ... على كل حال خيرة الخيرات
نبذت إليهم بالمودة صادقا ... وسلمت نفسي طائعا لولاتي
فيا رب زدني في هواي بصيرة ... وزد حبهم يا رب في حسناتي
سأبكيهم ما حج لله راكب ... وما ناح قمري على الشجرات
وإني لمولاهم وقال عدوهم ... وإني لمحزون بطول حياتي
بنفسي أنتم من كهول وفتية ... لفك عتاة أو لحمل ديات
وللخيل لما قيد الموت خطوها ... فأطلقتم منهن بالذربات
احب قصي الرحم من أجل حبكم ... وأهجر فيكم زوجتي وبناتي
وأكتم حبيكم مخافة كاشح ... عنيد لاهل الحق غير موات
فيا عين بكيهم وجودي بعبرة ... فقد آن للتسكاب والهملات
لقد خفت في الدنيا وأيام سعيها ... وإني لارجو الامن بعد وفاتي
إلم تر أني مذ ثلاثون حجة ... أروح وأغدو دائم الحسرات
أرى فيئهم في غيرهم متقسما ... وأيديهم من فيئهم صفرات
وكيف اداوي من جوى بي والجوى ... امية أهل الكفر واللعنات
وآل زياد في الحرير مصونة ... وآل رسول الله منهتكات
سأبكيهم ما ذر في الافق شارق ... ونادى مناد الخير بالصلوات
وما طلعت شمس وحان غروبها ... وبالليل أبكيهم وبالغدوات
ديار رسول الله أصبحن بلقعا ... وآل زياد تسكن الحجرات
وآل رسول الله تدمى نحورهم ... وآل زياد ربة الحجلات
وآل رسول الله يسبى حريمهم ... وآل زياد آمنوا السربات

إذا وتـروا مـدوا إلى واتريهم ... أكفا عن الاوتـار منقبضات
فلولا الذي أرجوه في اليوم أو غد ... تقطع نفسي إثرهم حسرات
خـروج إمـام لا محالة خارج ... يقوم على اسم الله والبركات
يميز فينا كل حق وباطل ... ويجزي على النعماء والنقمات
فيا نفس طيبي ثم يا نفس فابشري ... فغير بعيد كل ما هو آت
ولا تجزعي من مدة الجور إنني ... أرى قوتي قد آذنت بثبات
فيا رب عجل ما اؤمل فيهم ... لاشفي نفسي من أسى المحنات(١)
فان قرب الرحمان من تلك مدتي ... وأخر من عمري ووقت وفاتي
شفيت ولم أترك لنفسي غصة ... ورويت منهم منصلي وقناتي
فاني من الرحمن أرجو بحبهم ... حياة لدى الفردوس غير تباتي
عسى الله أن يرتاح للخلق إنه ... إلى كل قوم دائم اللحظات
فان قلت عرفا أنكروه بمنكر ... وغطوا على التحقيق بالشبهات
تقاصر نفسي دائما عن جدالهم ... كفاني ما ألقى من العبرات
احاول نقل الصم عن مستقرها ... وإسماع أحجار من الصلدات
فحسبي منهم أن أبوء بغصة ... تردد في صدري وفي لهواتي
فمن عارف لم ينتفع ومعاند ... تميل به الاهواء للشهوات
كأنك بالاضلاع قد ضاق ذرعها ... لما حملت من شدة الزفرات(٢)

***

(١) قال في هامش البحار: إنها زيادة في هامش نسخة الكمباني والمصدر خالٍ عنها.
(٢) بحار الأنوار: ٤٩/ ٣٤٥ – ٣٥١.

المصادر

القرآن الكريم	
بحار الأنوار	للمجلسي
عيون أخبار الرضا	للشيخ الصدوق
إرشاد الحيدري	للحيدري
تأريخ التمدن الإسلامي	جرجي زيدان
عصر المأمون	د. أحمد رفاعي
الآداب السلطانية	إبن طباطبا
تأريخ إبن خلدون	لإبن خلدون
البداية والنهاية	لإبن كثير
كشف الغمة	للأربلي
تأريخ إبن كثير	لإبن كثير
الكامل	لإبن كثير
ضحى الإسلام	أحمد أمين
تذكرة الخواص	السبط إبن الجوزي
تأريخ الطبري	للطبري
تأريخ اليعقوبي	لليعقوبي
حياة الإمام الرضا	جعفر مرتضى
مقاتل الطالبيين	أبو الفرج الأصفهاني
الغدير	للأميني
أخيار شعراء الشيعة	للمرزباني
المناقب	لإبن شهر آشوب

ينابيع المودة	القندوزي الحنفي
أمالي الصدوق	للشيخ الصدوق
المستدرك على الصحيحين	للحاكم النيسابوري
كنز العمال	للحنفي الهندي
حلية الأولياء	أبو نعيم الأصفهاني
نظرية الإمامة	د. أحمد محمود صبحي
حياة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام	الشيخ باقر شريف القرشي قدس سره

المحتويات

الإهداء	٣
مقدمة	٥
الإمام الرضا عليه السلام ولادةً ونشأةً	٧
الإمام الرضا عليه السلام إمامةً وهيبةً وموقفاً	٩
بيان الإمام الرضا عليه السلام في الإمامة	١١
الإمام الرضا عليه السلام في هيبة الإمامة	١٣
الإمام الرضا عليه السلام وموقف الإمامة	١٧
مفاوضات العرض	١٩
تساؤلات	٢١
ظروف العرض ودوافعه	٢٣
أهداف العرض	٣٥
أولاً: التقليل من شأن الإمام عليه السلام	٣٥
ثانياً: محاولة إكتساب الطابع الشرعي	٣٦
ثالثاً: إمتصاص النقمة الشعبية	٣٨
رابعاً: تطويق الإمام الرضا عليه السلام	٣٩
تجربة دالة	٤٠
من التطويق إلى المأساة	٤٥

قرائن ودلالات ٥١
١ – شهادات بندم المأمون ٥١
٢ – ميول المأمون تجاه العائلة العباسية ٥٤
٣ – إغتيال الفضل بن سهل سنة ٢٠٠ هـ ٥٥
٤ – عرضه على الإمام عليه السلام للمسير إلى بغداد ٥٧
٥– الإرتباك والشعور بالندم ٥٨
٦ – أصداء الحدث على ألسنة الشعراء ٦١
المصادر ٧١
المحتويات ٧٣